أبو الريحان البيروني ونظرته إلى التاريخ

د/ رياض حمودة حاج ياسين

محاضر غير متفرغ

جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا

أبو الريحان البيروني ونظرته إلى التاريخ

د. رياض حمودة حاج ياسين
محاضر غير متفرغ- جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا

ملخص

يعتبر القرنان الرابع والخامس الهجريين نقطة تحول في تطور علم التاريخ في الإسلام كما يظهر ذلك جليا في أعمال مؤرخين بارزين في هذه المرحلة كالمسعودي والمقدسي وغيرهما. ومن الذين أسهموا في تطور الكتابة التاريخية في هذا المجال أبو الريحان البيروني، وهو عالم موسوعي، اهتم بالفلك والرياضيات والعلم الطبيعي بالدرجة الأولى، لكن إسهامه في تطوير الكتابة التاريخية والمنهج الذي اختطه في هذا المجال لم يلق حتى الآن الاهتمام الكافي. تسعى هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على رؤية البيروني للتاريخ والمنهج الذي اختطه في هذا الإطار عبر دراسة مؤلفاته الأساسية، ولاسيما كتابيه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة"، و"الآثار الباقية عن القرون الخالية". وتقارن الدراسة هذه النظرة وهذا المنهج بإسهامات بعض المؤرخين الكبار من أبناء القرنين الرابع والخامس الهجريين.

Al-Biruni and his View of History

Dr. Riad, H. Haj Yasin
Adjunct Professor

The fourth and fifth centuries of the hijra calendar constitute a turning point in the development of Islamic historiography as can be shown in the work of the noted historians al-Mas'udi and al-Maqdisi. Among those who contributed to the development of Islamic historiography in this period was Al-Biruni. Al-Biruni was encyclopaedic, well versed in astrology, mathematics, and natural sciences, but his contribution to the development of Islamic historiography has not yet been studied adequately. This study attempts to shed light on al-Biruni's view of history as well as his method in writing history through studying his main works, particularly his " *al-Athar al-Baqia 'an al-kurun al-khaliya* ", and " *Kitab Tarikh al-Hind*". The study then compares his views to other prominent historians from the same period.

.

١-النظرة الشمولية- توسع مدلول التاريخ ومحتواه

وصل الأدب العربي التاريخي مستوى رفيعاً في القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي).[١] فقد اتسم هذا القرن بنظرة جديدة للتاريخ، تميّزت بتوظيف علوم و معارف غلبت عليها الصبغة الدنيوية كالطب والفلك والجغرافيا والفلسفة وسواها.[٢]وقد ساهمت هذه العلوم وبالأخص الفلسفة في تحول التاريخ من مستوى الخبر الى مستوى النظر.[٣] فالمسعودي(ت٣٤٦هـ) مثلاً تأثر بالجغرافية في كتاباته، ويتضح ذلك من خلال كتابه "المروج". وكتب حمزة الأصفهاني (ت ٣٦٠ هـ) متأثراً بالفلك في كتابه "تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء". وتأثر المطهر بن طاهر المقدسي(ت بعد ٣٥٥هـ) بعلم الكلام والفلسفة موضوعاً ومنهجاً في كتابه "البدء والتأريخ".[٤] وتأثر البيروني بالفلك والعلوم الرياضية والطبيعية بصورة لافتة في كتاباته التاريخية.[٥]

---

[١] مرغوليوث، د.س. دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة الدكتور حسين نصار، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٢٩م، ص١٤٢

[٢] وحول تأثير هذه العلوم في الكتابة التاريخية، راجع، الخالدي،طريف ، فكرة التاريخ عند العرب من الكتاب إلى المقدمة،ط١، ترجمة حسني زينة،دار النهار للنشر ،بيروت،١٩٩٧م.ص١٧٥-١٨١

[٣] فتحي التريكي، مقال عن البيروني، منشور ضمن تاريخ العلوم عند العرب، مجموعة مقالات كتبها اساتذة جامعيون، إشراف عز الدين باش شاوش، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس، ١٩٨٩، ص٦٤

[٤] راجع بهذا الخصوص، حاج ياسين، رياض حمودة،(١٩٩٨)، كتاب "البدء والتاريخ" للمطهر المقدسي، دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، عمان، الاردن، ص١٨ وما بعدها.

[٥] راجع حول حياة البيروني وتكوينه الثقافي والعلمي ومؤلفاته، البيهقي، ظهير الدين ابو الحسن (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م)، تتمة صوان الحكمة، ط١، (تحقيق وضبط وتعليق رفيق العجم)، دار الفكر اللبناني، بيروت،١٩٩٤.ص٧٤ وانظر: تاريخ حكماء الاسلام، (عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي)، مطبعة الترقي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٦م.ص٧٢

هذا الاتجاه ابتدأ بالتأسيس بصورة أوليّة من خلال نظرة بعض المؤرخين الكبار الذين عرفهم القرن الثالث الهجري.[١] فقد شهد القرن المذكور بداية الانفتاح على العلوم الأخرى، وما تبعه من الاهتمام بثقافة الأمم الأخرى وخاصة التراث اليوناني،وذلك بعد أن نشطت حركة الترجمة زمن المأمون (٢٠٠-٢١٨هـ).[٢] وقد ساعد في ذلك التوسع في الرحلات والتجارة،[٣] علاوة على أن القرن الثالث الهجري كان عصر الرحلة في طلب العلم.[٤]

هذه التطورات ساهمت في توسيع مدلول كلمة "تاريخ". فالمسعودي قبل البيروني مثلاً،عبّر تماما عن هذه النظرة، عندما ضمّن كتابه مجمل الحقول المعرفية التي أحاط بها حسب قوله: "ولم نترك نوعاً من العلوم ولا فنّاً من الأخبار ولا طريقة من

---

[١] (وبالأخص ابن قتيبة واليعقوبي).

[٢] حول حركة الترجمة أنظر : ابن النديم، الفهرست، -ابن النديم ، أبو الفرج ، محمد بن أبي يعقوب (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، الفهرست، (تحقيق رضا تجدد) ، طهران ، (د.ت)، ص٣٠٤؛ ابن ابي أصيبعة،موفق الدين ابي العباس أحمد بن القاسم(ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) عيون الانباء في طبقات الاطباء، ط١،(ضبطه وصححه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود)، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية ،بيروت،١٩٩٨. ص٢٥٧. التركيز على علوم اليونان خاصة الفلسفة والتنجيم والفلك، القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف(ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط١، مطبعة السعادة، مصر،١٩٠٥م. ص١٦١-١٦٢

[٣]وقد أكد محمد أركون أن القرن الرابع كان ذروة زمن التاجر والانفتاح على الفلسفة. أنظر، اركون ، محمد، نزعة الأنسنه في الفكر العربي ، جيل مسكويه والتوحيدي ، ط١، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ولندن ، ١٩٩٧م،ص٥٦٥

[٤] الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ط٢، دار المشرق، بيروت. ١٩٩٣م، ص٤٨.

الآثار إلا وقد أوردناها في هذا الكتاب مفصّلاً أو ذكرناه مجملاً أو أشرنا إليه بضروب من الإشارات أو لوّحنا إليه بفحوى من العبارات" [١] هذا القول، يشكّل منطلقاً نحو فهم النظرة الجديدة للتاريخ. إذ رأى المسعودي أنّ التاريخ هو غاية هذه العلوم ومنتهاها. فالتاريخ مستودع لماضي الإنسان وعلومه، وسجّلٌ جامع لكلّ المعرفة الإنسانية، إذ هو أرفع العلوم.[٢]

فالنظرة الجديدة التي تبناها مؤرخو القرن الرابع الهجري، ومن قبلهم وبصورة أقلّ وضوحاً، مؤرخون كبار في القرن الثالث الهجري،مثل ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ) واليعقوبي(ت ٢٩٢هـ)، تجاوزت نظرة أهل الحديث في الكتابة التاريخية. فقد أدرك أصحاب النظرة الجديدة عزوف أهل الحديث عن استيعاب فكر الأمم الأخرى وجدال عقائدها وأديانها وتراثها، ولذلك كان التجديد في النظرة للتاريخ. وهذا بدوره انعكس على المسعودي وغيره من المجددين في النظرة التاريخية.[٣] وكان بارزا لدى البيروني بالناحيتين، الانفتاح على الأمم الأخرى، والإفادة من العلوم الجديدة بصورة واسعة. وهذا عزّز التحوّل في عملية تطور الكتابة التاريخية من حيث طبيعة الموضوعات وطريقة تناولها، ومن حيث اللغة والأسلوب.

أصبح التاريخ بعد كل هذه التطورات حقلا جامعا. وتؤكد محاولة البيروني خاصة في "تحقيق ما للهند" على أن الثقافة بمفهومها الواسع باتت جزءا أساسيا من

---

[١]–المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، (شرحه عبد الامير مهنا)،٤مج، منشورات مؤسسة الاعلى للمطبوعات، بيروت، (د.ت)، ج١ ص١٨.

[2]Khalidi, Tarif , Islamic Historiography, The Histories of Ma'sudi, State University of New York Press, Albany.1975,pp.31-32

[3]Khalidi, Islamic historiography.. Masudi, p,13

التاريخ.[١] صحيح أن كتاب "تحقيق ما للهند" ليس عملا تاريخيا،بالمعنى الدقيق،لكنه كان مدركا للأبعاد التاريخية في مجال الثقافة،إدراكا عميقا.[٢]

ويتضح الطابع الحضاري في الاهتمام بجوانب معينة عند الأمم، فقد درس البيروني في كتاب "الصيدنة" العقاقير وأدبياتها عند الأمم المختلفة.[٣] وقدّم في كتاب "الجماهر" دراسة للمعادن والجواهر ومتعلقاتهما عند أمم عديدة.[٤] وذهب بصورة لافتة في كتابيه"الآثار الباقية" و"تحقيق ما للهند" إلى التعريف بعناصر مختلفة من آداب الأمم الأخرى.

قدّم البيروني في دراسة الأدب التاريخي جوانب أخرى تهمّ الدولة والمجتمع، ففي كتاب "الجماهر" أورد إشارات عديدة لها علاقة بالمعادن والجواهر عند الأمويين والعباسيين.[٥] وأكثر من ذلك فقد أورد البيروني إشارات للفتوحات الإسلامية من خلال التركيز على الاستيلاء على الجواهر والمعادن النفيسة بأنواعها وقيمتها.[٦] ليؤشر على أهمية هذه الجوانب بالنسبة لدارس التاريخ الحضاري. بما يعزز الشمول في دراسة المجتمع. وقد سبق للمسعودي أن توسع في دراسة جوانب أخرى تدلّ على

---

(1)-AL-Biruni Commemorative Volume, proceeding of the International Congress held in Pakistan on the occasion of Millenary of Abu Raihan Muhammed ibn Ahmed al-Biruni(973-Ca 1051 A.D), November 26 ,1973 thru December 12, 1973, Editer: Hakim Mohammed Said, Hamdard National Foundation, Karachi , Pakistan.1979,p.232

(٢)الخالدي،فكرة التاريخ عند العرب،ص٢٣٠.

(٣)ومن يتفحص كتاب الصيدنة يكاد يجد في كل صفحة المقارنة في الادوية عند الامم.

(٤)البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، الجماهر في معرفة الجواهر وانواعها، ط١، نشرته مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٣٦م، ص٣٢-٣٣، ٤١، ٤٣، ٩٥، ٢٤٢-٢٤٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٤، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٥-٦٧، ١٥٢، ١٥٩

(٦) المصدر نفسه، ص٦٨-٧٤، ١٥٧

التاريخ الحضاري، وقد ظهر ذلك من خلال بعض الأمثلة التي يتضح فيها تصويره للحياة الثقافية في العصر العباسي، ومنها، حديثه في خلافة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ) عن الملاهي والطرب بأنواعه وفوائده، وبعض الآلات الموسيقية والإيقاع وفنون النظم والشطرنج .[١]

ساهم البيروني في تعزيز فكرة التنوع المعرفي، واتساع مفهوم التاريخ الذي بات يقبل التنوع نتيجة تداخل العلوم المتنوعة والانفتاح على الامم الاخرى، فالبيروني نموذج تمثّل فيه الكثير من سمات الكتابة التاريخية المستلهمة من هذه العلوم.[٢]

٢-فائدة التاريخ-استخلاص العبرة والحكمة:

نظر البيروني للتاريخ من زاوية فائدته للبشرية، فالتاريخ مستودع الخبرات البشرية، ومنبع لاستخلاص العبر لتفادي ما يمكن حصوله، أو الخروج من وضع ما، باستلهام حيلة أو خطة ما، وهذا كان واضحا من خلال ما عبّر عنه، يقول:" ...ليكون ما نعمله من ذلك معينا لطالب الحق ومحبّ الحكمة على التصرّف في غيرها ومرشدا إلى نيل ما لم يتهيأ لنا"،[٣] ويتضح ذلك في إشارات أخرى، عندما قال: "ولا بدّ من تأمّل التاريخ لمعرفة الأمثلة الكثيرة على هذا مما يقع في كلّ آونة وفي كلّ دولة"،[٤] وفي تعليقه على فائدة كتاب "المسامرة في أخبار خوارزم" يقول البيروني: "ولو قيل انه

---

[١] المسعودي، مروج، جـ٤ ص٢٣٤-٢٤٢ وكذلك ذكره للنوادر زمن المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) وخاصة المشتغلين بالمعادن والطب والكيمياء،المصدر نفسه والجزء،ص٢٦٤-٢٧٤

[٢] الخالدي،فكرة التاريخ عند العرب،ص٢٣١

[٣]- البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، (د.ت)، نسخة مصورة عن طبعة DR.EDWARD C.SACHAU في ليبزج ١٩٢٣،ص ٥

[٤]البيهقي، ابو الفضل محمد بن حسين (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، تاريخ البيهقي وفيه المسامرة في أخبار خوارزم للبيروني، ترجمه الى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،١٩٨٢م. سيشار له البيروني، المسامرة، ص٧٥٢

جدير بأن يكون كتاب تاريخ وحده لما كان هذا القول بعيدا عن الصواب لأنّ فيه عبرة لأولي الألباب".[١] وتدلّ بعض العبارات من حكم ومواعظ لديه على هذا الاتجاه، منها، "فتلك سنّة الخلق منذ آدم عليه السلام الى يومنا هذا، فكل عبد يخرج على مولاه يفقد حياته العزيزة"،[٢] وإشارات أخرى، "أليس البشر مطبوعا على فرط الحرص بتعرّف ما استتر عنه وخفي أمره عليه"،[٣] "سئل بعض الحكماء عن سبب غشيان العلماء أبواب الأغنياء وإعراض الأغنياء عن قصد أبواب العلماء فأجاب بأنه علم هؤلاء بمنافع المال وجهل أولئك بشرف العلم"،[٤] "فأين الرابح إذا كان رأس المال خسران"،[٥] "لأن القلم يؤثر إذا آزره السيف".[٦]

هذه الاقتباسات تدلّ بوضوح على استخلاص الحكمة من التجارب البشرية، فالتاريخ مستودع لهذه التجارب. والبيروني في هذه النظرة يشاطر معاصره مسكويه (ت٤٢١هـ) الذي اتضح لديه هذا الاتجاه تماما في كتاباته التاريخية. فقد عبّر عن ذلك بوضوح، عندما قال: "وأنا مبتدئ بذكر الله ومنّته بما نقل إلينا من الأخبار بعد الطوفان لقلّة الثّقة بما كان منها قبله ، ولأنّ ما نقل أيضاً لا يفيد شيئاً مما عزمنا على ذكره وضمّناه في صدر الكتاب، ولهذا السبب بعينه لم نتعرّض لمعجزات الأنبياء صلوات الله عليهم وما تمّ لهم من السياسات، لأنّ أهل زماننا لا يستفيدون منها تجربة

---

[١] المصدر نفسه، ص٧٥٩

[٢] المصدر نفسه، ص٧٥٢

[٣] البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)،تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن، (تحقيق د.بولجاكوف، مراجعة د.إمام إبراهيم أحمد)، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.ص٣٥

[٤] البيروني، تحقيق ما للهند، ص ١٤٩

[٥] البيروني، المسامرة، ص٧٣٨

[٦] المصدر نفسه والصفحة

فيما يستقبلونه من أمور ، اللهمّ إلاّ ما كان منها تدبيراً بشرياً لا يقترن بالإعجاز".[١] ويتضح أن رفض مسكويه تضمين تلك الأخبار، كان أساسه، أنها لا تتضمن التدبير البشري والحيل والمكايد التي أشار لها مسكويه باعتبارها تهمّ "الوزراء وأصحاب الجيوش وسوّاس المدن ومدبّري أمر العامة والخاصة"،[٢] وهذه كانت أساس رؤية مسكويه التاريخية.[٣] وقد دلَّ عنوان كتابه "تجارب الأمم وتعاقب الهمم" على رؤيته في استخلاص الحكمة من التجارب.

ومن هنا تكمن الأهمية القصوى للتاريخ في انه مستودع الخبرة ومكتنز استخلاص الحكمة الإنسانية. وهذا معناه أن الإنسان لايمكن أن يتجاهل التاريخ في حياته أو يستبعد حوادثه التي تعينه على فهم ذاته الحضارية، بل وتسهم في هدايته إلى اتجاهات أخرى تلزمه في الحاضر، وقد تعينه على الكثير مما قد يصادفه في حياته. ولهذا أكّد البيروني قيمة الكتابة والتدوين في حفظ الآثار والمعارف للأمم، فالتدوين والكتابة تفوق شرف كل علم وفن.[٤]

هذه المعرفة التي يتم تناقلها جيلا زمنيا بعد جيل، تطرح مسألتين، الأولى:ارتباط الماضي بالحاضر، فالتاريخ مستمر في الحاضر استمرارا تفرض وجوده وعناصره ثقافة الأمة الحالية المتوارثة من الأجيال، والثانية أنه مؤشر يبنى عليه ما يحدث في الحاضر تجاه المستقبل. فالبيروني ربط الماضي بالحاضر، فعنوان كتابه "الآثار الباقية" يشير إلى هذه الفكرة، فالتاريخ هو الماضي الحاضر، إذ أن مجموع عوارض

---

(١) مسكويه، أبو علي، أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ٣ مج، (كتب مقدمته ووضع فهارسه ليون كايتاني)، برل، ليدن، ١٩٠٩-١٩١٧م،جـ١ ص ٥-٦.

(٢) المصدر نفسه، جـ١ ص٤-٥ .

(٣) راجع حول نظرة مسكويه بالتفصيل، أركون، نزعة الأنسنه في الفكر العربي، ص ٥٥٥-٦٠١، و جب، "تاريخ" دائرة المعارف الاسلامية، وانظر، الخالدي،كرة التاريخ عند العرب، ٢١٩-٢٢٦.

(٤) هناك إشارات لافتة على ذلك في مقدمة تحقيق ما للهند،ص١

الماضي حاضرة بأخبارها وآثارها، وفحص تلك الأخبار عملية تنجز دائما في الحاضر. فالتاريخ حاضر بمعنيين، شواهده، وفي ذهن المؤرخ، وكثيرا ما نقرأ لا بد من مقارنة الماضي بالحاضر والحاضر بالماضي، نستخلص منها أن معرفة الماضي دائما نسبية، إذ تستجيب لمتطلبات الوضع القائم وأنها دائما عملية، إذ تجيب عن أسئلة حالية.[١] ومن هنا تتبدى أهمية المعرفة التاريخية، التي تقتضي الإفادة من الأدوات المتاحة في الحاضر، وهذا ما فعله البيروني.

البيروني ونظرته لتاريخ الحضارة

كان البيروني مسكونا بهاجس المحافظة على التراث الحضاري، فقد أولى أهمية بالغة للتدوين والكتابة، وانتقد بشدة ممارسات العبث بالتراث والمساس به.[٢] كما اعترف البيروني في مطلع كتاب "تحقيق ما للهند" بتفوق الكتابة وشرفها، وربما كان لهذا علاقة بنظرة البيروني لبعض جوانب الحضارة، فالكتابة تؤرخ للحضارة الانسانية،إذ يعتبر دارسو الحضارات القديمة بأن الكتابة واختراعها من أهم عناصر تطور الحضارة الانسانية.[٣] هذه النظرة الفريدة للبيروني تعبّر عن رؤية تتسم بالخصوصية.

---

[١] العروي، عبد الله، مفهوم التاريخ، ط١، جزءان، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م،ج١ ص٣٨

[٢] كان النموذج الاكثر صراحة انتقاده لابن قتيبة بن مسلم وما فعله بالنسبة لتراث خوارزم المكتوب، راجع البيروني، الاثار الباقية،ص٤٨.

[٣] راجع ايمار، أندريه واوبوايه، جانين، تاريخ الحضارات العام، ط٣، ٧ مجلدات، إشرا ف موريس كروزويه، ترجمة فريد م. داغر وأحمد عويدات وفؤاد ج.ابو ريحان، ،منشورات عويدات ،بيروت–باريس،١٩٩٣ج١،ص١٧٢–.١٧٣اشراف موريس كروزيه. فالكتابة تعدّ أوسع خطوة خطاها الانسان في انتقاله الى المدنية، وهي من أهم سمات الانتقال الى العصور التاريخية، ديورانت، ول وايرل، قصة الحضارة،٤٢ جزءاً، دارالجيل بالتعاون مع المنظمة العربية والثقافة والعلوم، بيروت، ١٩٨٨م.ج١، ص١٨١.

وهناك أبعاد طرقها البيروني يستدلّ منها على النظرات الحضارية التي قدّمها، ومنها ما يتصل بمجال علم الاجتماع، فقد سبق ابن خلدون في فكرة أن الانسان مدنيّ بالطبع.إذ كان البيروني مميّزا في طرحه بخصوص فكرة التمدّن،فقد قال:"فأما العلوم – بعد أن كان الإنسان مطبوعا على قبولها– فقد اضطره إليها كونه في العالم مدة تصرفه فيه على قضايا التكليف،لأنه لكثرة حاجاته وقلّة قناعاته وتعرّيه عن آلات الدفاع مع وفور أعدائه، ولم يجد بدّا من التمدّن مع أهل جنسه،قصدا للترادف واشتغال كلّ واحد منهم بشغل يكفيه ويكفي غيره...".[١]

ولعلّ هذه الفكرة ترقى للأدبيات اليونانية،[٢] وقد ناقشها ابن خلدون بصورة موسعة.[٣] وهكذا قدّم البيروني نظرات في الاجتماع الإنساني سبقت ابن خلدون،وكان متميّزا، لأنّه طرح هذا من زاوية فائدة العلوم للإنسان بقوله:"ثم لمّا كان الإنسان المتمدّن مقتنيا بحرصه ما زين له من "القناطير المقنطرة...والخيل المسومة والأنعام والحرث" احتاج في نقلها ونقل أبعاضها المتفاضلة من ملك غيره إلى ملكه، وقسمتها على أصحابه إذ شاركوه في النقل، إما بالاعواض وإما بالميراث، إلى حساب ومساحة لم يجد منهما بدّا، وهما أصول العلوم المسماة رياضيات وتعاليم، وتحقيقها علم الهندسة، فهذه منفعتها".[٤]

---

[١] البيروني، تحديد نهايات،ص٢٥.

[٢] مسكويه، ابو علي أحمد بن محمد(ت٤٢١هـ)تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق، تحقيق قسطنطين زريق، نشرته الجامعة الاميركية، بيروت، ١٩٦٦، ص٢٩، (وسيشار له،مسكويه، تهذيب الاخلاق).

[٣] ابن خلدون، أبو زيد، عن الرحمن بن ولي الدين (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٦م) المقدمة، ط٣، ٣مج، (مهد لها وحققها علي عبد الواحد وافي)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة – القاهرة، (د.ت)،ص٤٢–٤٣.

[٤] البيروني،تحديد نهايات،ص٢٦، الاقتباس القرآني في النص من آية ١٤– سورة آل عمران.

وتميّز البيروني حين ذهب أبعد في ربط تطوّر العلوم بحاجات الإنسان، بقوله: "فهذه حال العلوم ، قد أنتجتها حوائج الانسان الضرورية في معاشه وتسلسلت بحسبها، وحصول الحاجات بها هومنافعها".[١] فالملاحظ أن هذه النظرة ترسّخ لدى البيروني ما يمكن أن نسمّيه اسبابا لنشأة العلوم مرتبطة بتطور حياة الإنسان وحاجياته، وكأنّ نشأة العلوم جاءت تابعة لرغبة الانسان وتلبية لتعقيدات حياته.

فالبيروني وفق ذلك يرفض العزلة والانسحاب من العالم، فهو يوافق الفكر الفلسفي منذ زمن المدنيّة الاغريقية بالدفاع عن المبدأ القائل بأن"الانسان حيوان سياسي بطبيعته"، ولكن الانسان لايتوصل الى المدنيّة الا من خلال التضامن مع الجماعة التي ينتمي اليها.[٢] فالانسان لايمكن أن يكون مكتفيا وسعيدا بذاته. وقد عبّر مسكويه عن ذلك،"ولما كانت هذه الخيرات الانسانية كثيرة ...ولم يكن في طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها وجب ان يقوم بجميعها جماعة كثيرة منهم، ولذلك وجب أن تكون أشخاص الناس كثيرة، وان يجتمعوا في زمان واحد على تحصيل هذه السعادات المشتركة، ليكمل كلّ واحد منهم بمعاونة الباقين له، فتكون الخيرات مشتركة والسعادة فوضى بينهم، فيتوزعونها حتى يقوم كل واحد بجزء منها ويتم للجميع، الكمال الانسي... ".[٣] فهو يعترف بأن "الانسان مدني بالطبع أي هو محتاج الى مدينة فيها خلق كثير لتتم له السعادة الانسانية".[٤]

---

[١] المصدر نفسه، ص٢٩

[٢] اركون،نزعة الانسنة في الفكر العربي،ص٥١٣

[٣] مسكويه،تهذيب الاخلاق،ص١٤-١٥

[٤] المصدر نفسه، ص٢٩

تمييز البيروني للتاريخ بوصفه معرفة نقلية شفوية ومكتوبة:

فاضل البيروني بين أكثر من مستوى لتناقل المعرفة التاريخية. فهناك المعرفة المبنيّة على الرواية الشفوية، وهناك المكتوبة، وهناك المشاهدة.[١] وقد حدّد البيروني السبيل لمعرفة أخبار الأمم الماضية، بقوله:"إن اقرب الأسباب المؤدية إلى ما سئلت عنه هو معرفة أخبار الأمم السالفة وأنباء القرون الماضية لأنّ أكثرها أحوال عنهم ورسوم باقية من رسومهم ونواميسهم ولاسبيل إلى التوسّل إلى ذلك من جهة الاستدلال بالمعقولات والقياس بما يشاهد من المحسوسات سوى التقليد لأهل الكتب والملل وأصحاب الآراء والنحل...".[٢]

فالأصل في التاريخ هو المدونات المكتوبة والآثار الباقية عن الأمم والمرويات الشفوية بما تمثّله من تاريخ حيّ في صدور الناس. ووفقا لذلك لا يولد الإبداع فجأة ودفعة واحدة. بل على العالم أن يكون متمرّسا بعد أن يفيد من التراث المتراكم في كلّ حقل معرفي يعمل فيه. بمعنى أنه لا يمكن كتابة التاريخ دون المصادر النقلية،يقول البيروني:"...وإذا كان إنكارهم كلّ ما لم يتفق في زمانهم أو مكانهم حتى يشاهدوه ولم يكن يستحيل في العقول كثير إنكارهم ولم يقرّوا بشيء غاب عنهم فإن الحوادث العظام غير متفقة في كلّ وقت وإذا اتفقت في قرن لم يتصل بمن بعدهم عند مضي الدهور ومرور الأحقاب إلا بالأخبار وتواترها...".[٣]

وبذا ليس ثمة ما يبعث على القلق، عندما نقول بأن المصدر الأساس للكتابة التاريخية هو نقلي، في حين أن هناك أدوات لها طابع علمي تتصل بالناحية العقلية والحسية والتجريبية، يمكن من خلالها محاكمة بعض الأخبار التاريخية. فالبيروني لم

---

[١] أشار الى هذه المستويات الثلاثة في مقدمة الاثارالباقية،ص٤

[٢] المصدر نفسه، ص ٤

[٣] المصدر نفسه ،ص٨٢

يذهب إلى إخراج التاريخ من دائرة العلوم النقلية. فقد حافظ التاريخ على هذه الخصوصية حتى بعد التطورات الثقافية الكبيرة التي طالت جوانب الحياة في المجتمع الاسلامي لاسيّما مع القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي) وما بعده، فالتصنيف الدارج للتاريخ في القرن الرابع والخامس للهجرة(العاشر والحادي عشر الميلاديين) كان على أساس أنه من بين العلوم النقلية الشرعية تحديدا، وظهر ذلك في تقسيمات الخوارزمي في القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) عندما قسّم العلوم الى : أولاً علوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربيّة والتي تشمل: الفقه والكلام والنحو وفن الكتابة والشعر والعروض والأخبار، ثانياً علوم الأوائل (الإغريق) وتشمل: الطب والفلسفة والمنطق والفلك والموسيقى.[١] كما ظهر في الرسالة السابعة من المجموعة الأولى لإخوان الصفا عندما صنفوا العلوم إلى ثلاثة أصناف:الرياضية والشرعية والفلسفية. والتاريخ عندهم يشكل جزءا مهما من العلوم الشرعية.[٢]

وقد اتضح من خلال بعض النماذج استخدام أدوات المعرفة النقلية المستقاة من قواعد علم الحديث في دراسة التاريخ، وكان النموذج الاكثر وضوحا الطبري (ت٣١٠هـ) والذي كانت نظرته للتاريخ وأسلوبه في كتابته متأثرة بدارسته كمحّدث وفقيه.[٣] فقد نظر للتاريخ باعتباره من العلوم النقليه مقابل العلوم العقليه، واضعاً إياه جنباً إلى جنب مع علم الحديث. [٤] وهذه النظرة للتاريخ أوضحها في مقدمة تاريخه، إذ يقول : "وليعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا مسندها إلى رواتها

---

[١]الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، (حققه ووضع فهارسه فان فلوتن)، برل، ليدن، ١٩٦٨م. ص٥ وما بعدها.

[٢] رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا،ط١،أربعة مج،الدار الاسلامية،بيروت،١٩٩٢،ج١،ص٢٦٧،

[٣] الدوري ، بحث ، ص٥٥ .

[٤]الخالدي،فكرة التاريخ عند العرب،ص١٠٧

فيه، دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس الاّ اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلاّ بأخبار المخبرين ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن من كتابي هذا من خبر ذكرناه في بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا".[١]

يتضح من ذلك أن طريقة الطبري في عرض الروايات تتجه إلى إسنادها لرواتها من جهة، وإلى تحديد الوسيلة التي تصل بها المعرفة التاريخية من جهة أخرى. هذه المعرفة لا يمكن أن يُستدلَّ عليها أو أن تدرك بحجج العقول وفكر النفوس، بل يمكن الحصول عليها من خلال النقل من الرواة.

فالإخبار عن الماضي هو دائماً شهادة، سواء أتعلّق الأمر بقول أو حدث. وبالتالي إن طبق منهج التعديل على الشهود اقترب من معرفة الحادث على وجهه الصحيح.[٢] وبذلك تتأكد نظرة الطبري للتاريخ بوصفه أخباراً يتم تناقلها عبر رواة يجري تحرّيهم لمعرفة موثوقهم وأقربهم إلى الحدث. فقيمة الروايات في نظر الطبري تعتمد على قوة أسانيدها، وكلما كان بدء السَّند أقرب إلى الحدث كان أفضل.[٣]

أما البيروني فكان مشروعه مغايراً تماما لهذا النهج مع اعترافه بأهمية النقل لعمل المؤرخ. لذا فقد حرص على استخدام أدوات لدراسة التاريخ متأثرة بناحية تكوينه العلمي، ومنسجمة مع الافادة من العلوم الاخرى في دراسة التاريخ.

---

[١] الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ط٦، ١٠ م، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة (د.ت). جـ١ ص ٧-٨ .

[٢] عبد الله العروي ، مفهوم التاريخ ، جـ١ ص ٢١٢ .

[٣] الدوري ، بحث ، ص ٥٥ .

فاضل البيروني بين مستويات نقل المعرفة في أكثر من موضع، فقد أصرّ في مؤلفه الموسوعي "تحقيق ما للهند" على فكرة:"ليس الخبر كالعيان لأن العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله ولولا لواحق آفات بالخبر لكانت فضيلته تبين على العيان..."."[١] بمعنى أنه يعترف بقيمة الأخبار وأهميتها أي بالمعرفة النقلية التي لم تسلم بنظره من عبث الناقلين وغايات المخبرين، لكنّه يصرّ على أهمية أدوات أخرى مثل المشاهدة والمعاينة. وبانت قيمة الكتابة المبنية على المعاينة عندما طبّقها على تجربته في كتاب"تحقيق ما للهند"، فقد درس الهند من داخلها بأجوائها وبيئتها. وربما تدلّ عبارة البيروني على أن ما كتب عن الهند كان قائما على النقل والسماع وتتالي الحكايات عن الهند، والدليل انه نقض مقولات كانت شائعة عن الهند مثل وصف الهند بالحكمة والتي تم تناقلها قبله.[٢]

ويتضمن هذا المبدأ ضرورة مشاهدة الحادثة في اللحظة التي حدثت فيها ومكانها، وعندها لايضطر المؤرخ للاعتماد على المخبرين، وذلك نظرا لما تسببه الاخبار المنقولة من تشويه للحقائق. وهكذا يكون البيروني قد قرر إطارا تصوريا في رؤية الظواهر الاجتماعية ودراستها، قوامه أن يقوم بين الظواهر الاجتماعية من جهة ثم بينها وبين المجال البيئوي المحيط بها والمناخ الاجتماعي الملازم والزمن الذي تحدث فيه صلات تكاملية. ومازال هذا الاطار الفكري هو الذي يحكم رؤية علماء الاجتماع المعاصرين للظواهر والنظم الاجتماعية.[٣]

---

[١] البيروني ، تحقيق ما للهند،ص١

[٢]المصدر نفسه ، ص١٧

[٣]الربايعة، أحمد، البيروني وأسس الانثروبولوجيا الثقافية"، دراسات تاريخية، (ع٣١-٣٢)، جامعة دمشق، ١٩٨٩م، ،ص١٠٤

وهذا النهج ينسجم مع الرؤية العلمية. وقد بدا واضحا في وصفه الجغرافي للبلدان في كتابه "تحديد نهايات الاماكن" عندما قدّم معرفة جغرافية على أساس تحليل علمي جيولوجي وكيميائي نبع من المشاهدة بالدرجة الاساس. وتتبّدى أهمية المشاهدة ايضا في نقده لمعلومات جغرافية أوردها الجاحظ الذي لم يشاهد ما حكاه، بأنها من قبيل المعرفة الظنية غير الصحيحة،[١] لأنّها لم تقم على أساس المعاينة والمشاهدة.

كذلك أهمية المشاهدة بالنسبة للثقة بالخبر، لقول البيروني:"...وإن كان القلب لايطمئن اليها دون مشاهدتها".[٢] ومن هنا يمكن تفسير إصراره على الوثوق بأخبار سنان بن ثابت انطلاقا من كونها مبنية على المعاينة والتجربة،[٣] او نقده لمصادره لأنها ليست مبنية على المشاهدة.[٤]

ويؤيد البيروني مقولته التي اشتملت على أهمية النقل، في الوقت الذي يبدو فيه الحذر من التعامل مع هذه المعرفة، من منطلق أنها تختلط بالتزوير والأساطير[٥] وبالأخص تلك البعيدة زمنيا، لقول البيروني:"...فالأولى أن لا نقبل من قولهم في مثله إلا ما يشهد به كتاب معتمد على صحته أو خبر مشفوع به شرائط الثقة في الظنّ الأغلب".[٦]

ومن هنا فقط يمكن تبرير إيراده لمقتبسات عن الكتب السماوية كالتوراة والتي اشتملت على معلومات تاريخية لا يمكن لمؤرخ أن يتجاهلها لا سيّما في التعامل مع

---

[١] البيروني،تحقيق ما للهند،ص١٦٣

[٢] البيروني،الاثار الباقية،ص ٢١٥

[٣]المصدر نفسه، ص٢٥٨،٢٥٧

[٤] راجع أهمية المشاهدة في أخباره، المصدر نفسه، ص٢١، ٢٥، ٣٦

[٥] جلال شوقي: دراسات البيروني في الطبيعيات، أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، جامعة حلب، ٥-١٢-١٩٧٦،ص٢٥٥-٢٥٨

[٦] البيروني، الاثار الباقية، ص١٤

التاريخ القديم.[١] وهذا كان مبررا من وجهته، فهو يستعين مثلا بالكتب السماوية لتعذّر توفر مصادر أخرى عن التاريخ القديم مثلا. أما في المواضع التي تتوفر فيها مصادر أخرى متنوعة، فإنه يسجّل بوضوح أن مهمة المؤرخ في استقصاء الأصح والأصلح والأكثر علمية والأقرب زمناً.[٢]

وقد كان موقف البيروني من هذه الأخبار نقديا تشكيكيا، فظهر بارزا في مجمل مقتبساته، عندما استخدم تعابيراً وألفاظاً على النحو التالي:"زعموا"،[٣] "وكل ما ذكرنا ليس كل واحد من الفريقين إلا مدّعيا في هذا المعنى دعاوى،[٤] "وهذه شبه تلحق بدعاوى اليهود"،[٥] "انهم يزعمون"،[٦] وزاد تشكيكه فيها من منطلق أنها متعددة متعددة في النسخ ومختلفة،[٧] فهي تعرّضت للتغيير والتحريف. علاوة على أنها اشتملت على أساطير وتلفيقات،يقول البيروني:" وكلّ ما ذكروه ونذكره هي حجج قاطعة وأدلّة واضحة على أن الكلم في الكتب محرّف عن مواضعه والنصّ فيها مغيّر عن مناهجه والاعتصام بمثل هذا من الحسبانات والتلفيقات أقوى دليل وأوضح حجّة على تنكّب صاحبها عن الحق والهدى..."،[٨] فالبيروني رفض الأساطير من خلفية علمية، وقد بدا ذلك بوضوح في موقفه من كثير من القصص التي كان يرويها الهنود،[٩] بحجّة أن "ليس للعقل فيها مدخل" على حد تعبيره.[١] ورفض "السحر كونه

---

[١] المصدر نفسه، ١٣، ١٩، ٥٣، ٧٤، ١٧٦-١٧٧، ٢٨١، ٢٨٣

[٢] البيروني، الاثار الباقية، ص٤-٥

[٣] المصدر نفسه، ص١٥

[٤] المصدر نفسه، ص١٧

[٥] المصدر نفسه، ص ١٨

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٢

[٧] المصدر نفسه، ص٢١

[٨] المصدر نفسه، ص٢٠

[٩] البيروني، تحقيق ما للهند، ص٨٥، ٩٣، ١٥٥، ١٨١

كونه غير داخل في العلم البتة".[٢] غير أنّه رأى أن بعض الأخبار التي تشتمل على غرائب وعجائب لا يصحّ رفضها لمجرّد هذه الغرابة، "فما كان منها في حدّ الإمكان جرى مجرى الخبر الحق إذا لم يشهد ببطلانه شواهد أخر"،[٣] لذلك يلاحظ أنه أورد أخبارا عديدة لها طابع الغرابة.[٤]

لم يتوقف البيروني عند الاكتفاء بمحاكمة الأخبار وفقا لشروط مصداقية الناقلين وشهرة الكتب الموثوقة، بل أصرّ على استخدام أدوات معرفية أخرى. وهذا الجانب عبّر عنه ابن خلدون، عندما رأى بان أدوات المؤرخ يفترض أن لا تتعلق بمجرّد أخلاقية الناقلين كما هو الحال بالنسبة لمنهج المحدثين، لأن التّاريخ من وجهته محتاج إلى أدوات متعددة يستوعبها علم العمران.[٥] فالتاريخ من وجهة ابن خلدون "...محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط، لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكّم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولاقيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلّة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثّا أو سمينا، فهم لم يعرضوها على أصولها ولاقاسوها بأشباهها ولاسبروها بمعيار الحكمة والوقوف

---

[١] المصدر نفسه، ص١٨١

[٢] المصدر نفسه، ص١٤٩

[٣] البيروني،تحقيق ما للهند ،ص٥

[٤] المصدر نفسه، ص٨٠-٨٢

[٥] ابن خلدون،المقدمة ، جـ١ ص ٣٣٧ .

على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلّوا عن الحقائق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط".[١]

وتمثل محاولة البيروني سابقة على ما ذهب إليه ابن خلدون من أهمية استخدام أدوات متعددة في التعامل مع التاريخ،مع الانفراد باستخدام الفلك والحسابات الرياضية التي تعدّ أدواته الرئيسة في التعامل مع المعرفة التاريخية.علاوة على استخدام نهج المقارنة في دراسة التاريخ.

التفت البيروني إلى أهمية توظيف أدوات أخرى في دراسة المعرفة التاريخية،تجاوزت النقل من الكتب والرواية الشفوية، فالنقل لا يسلم من الآفات والإضافات الناشئة عن دوافع الناقلين والمخبرين.[٢] فالبيروني أراد القول بأن تحصيل المعرفة يفترض أن يكون لذاته، وليس لأي مأرب، بمعنى تحرّي الحقيقة والمعرفة الصحيحة والوصول إلى المعرفة من أجل المعرفة.[٣]

والتاريخ بوصفه معرفة تعتمد على النقل، لن يكون ذا سمة موضوعية تماما، فبرأيه فإنّ "الخبر عن الشيء الممكن الوجود في العادة الجارية يقابل الصدق والكذب على صورة واحدة، وكلاهما لاحقان به من جهة المخبرين..."[٤] ويحدد البيروني دوافع الكذب في الأخبار، ذاكرا خمس طبقات من المخبرين،[٥] على النحو التالي:

---

[١] المصدر نفسه والجزء،ص٢٩١

[٢] البيروني، تحقيق ما للهند،ص٢

[٣] انظر دفاعه عن تأليف كتابه الهند انطلاقا من الرغبة في الوصول للحقيقة، المصدر نفسه، ص ٢، ٥.

[٤] المصدر نفسه، ص٢

[٥] كاور، جونيندار، البيروني: رائد من رواد الدراسة المقارنة للأديان، ترجمة د.محمد اكرم سعد الدين، الثقافة العالمية، المجلد السادس، (ع٣٢)، ١٩٨٧م، ص٤٠-٥٥، راجع ايضا هذه التفاصيل: عند أحمد الربايعة، البيروني واسس الانثربولوجيا، ص١٠٤-١٠٥.

- التعصب للذات أو للسلالة التي ينتمي إليها المخبر فيرفع قدر نفسه وسلالته، ويحطّ من قدر غيره والسلالات الأخرى، لقوله:"ومن مخبر عن أمر كذب يقصد فيه نفسه فيعظّم به جنسه ...، أو يقصدها فيزري بخلاف جنسه لفوزه فيه بإرادته".[١]

- تحيّز المخبر لطبقة اجتماعية معيّنة بسبب ما يحصل عليه من فوائد ومكتسبات وذمّ طبقة اجتماعية أخرى، لعدم حصوله على مكتسبات منها،يتضح ذلك من قوله:"ومن مخبر عن كذب في طبقة يحبهم لشكر أو يبغضهم لنكر، والداعي الى ذلك هو المحبة والغلبة".[٢]

- المحاباة طمعا في خير يصيبه، أو تجنبا لشرّ قد يقع عليه، يقول البيروني:"ومن مخبر عنه متقربا الى خير بدناءة الطبع أو متقيا لشر من فشل أو فزع".[٣]

- أن يكون الكذب متأصّلا في المخبر، أي من طبعه، يقول:"ومن مخبر عنه طباعا كأنه محمول عليه غير متمكن من غيره، وذلك من دواعي الشرارة وخبث مخابئ الطبيعة".[٤]

- الجهل بالاخبار ونقلها كما هي، يقول:"ومن مخبر عنه جهلا وهو المقلّ للمخبرين وإن كثروا جملة أو تواتروا فرقة بعد فرقة فهم وسائط بين السامع وبين المتعمد الاول".[٥]

فالبيروني يكشف أسباب الروايات الكاذبة، فهو يجد أن هذه الاسباب تكمن في مصالح متناقضة لطوائف محددة من الناس، وفي رغائبها وتطلعاتها وانفعالاتها

---

[١] البيروني، تحقيق ما للهند، ص ٢

[٢] المصدر نفسه والصفحة

[٣] المصدر نفسه والصفحة.

[٤] المصدر نفسه والصفحة.

[٥] المصدر نفسه والصفحة.

وسخطها وحبها وكراهيتها، وكذلك في أماني الافراد وذلك بسبب بساطة طبيعتها، لتحقيق الرخاء عن طريق الأكاذيب، أو نتيجة الخوف من الشر الذي يجعل الناس ينطقون بالكذب.[١]

وهذه الآفات من كذب وتحريف، تفسّر وجود هاجس لدى بعض المؤرخين، فالمسعودي (ت ٣٤٦هـ) يتمسك بمسؤوليته أمام نصوصه، معتدّاً بذلك ومحذّراً من العبث بما أورده، يقول: " فمن حرّف شيئاً من معناه أو أزال ركناً من مبناه، أو طمس واضحة من معالمه أو لبّس شاهده من تراجمه، أو غيّره أو بدّله أو نسبه إلى غيرنا أو أضافه إلى سوانا، فوافاه من غضبِ الله...".[٢]

بمعنى أن ذلك سيعقد مهمة المؤرخ في البحث والتقصي والاجتهاد،لأن فرز المعرفة التاريخية الصحيحة لن يكون سهلاً،يقول البيروني:"على أن الأصل الذي أصّلته والطريق الذي مهدته ،ليس بقريب المأخذ بل كأنه من بعده وصعوبته يشبه أن يكون غير موصول إليه، لكثرة الأباطيل التي كانت تدخل جمل الأخبار والأحاديث".[٣] وهذا يؤكد قيمة الأدوات التي يحتاجها المؤرخ.

وأكثر من ذلك، فالآفات التي قد تلحق بالمعرفة المكتوبة،دفعت البيروني أحيانا إلى تفضيل المعرفة الشفوية على المكتوبة.[٤] مع إيراد المبررات لذلك، فاعتبر المعرفة

---

[١]مأمونوف، ابراهيم ، البيروني أعظم عالم موسوعي، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، المورد، المجلد السادس، (ع٤)، عدد خاص (العلوم عند العرب)، بغداد،١٩٧٧م ص١٥٨،ص١٦٣

[٢] المسعودي ، مروج ، جـ١ ص ٩ .

[٣] البيروني،الاثار الباقية،ص٤-٥

[٤] و يعزو البيروني انقطاع المعرفة في تاريخ العرب قبل الإسلام أحياناً إلى الرواية الشفوية،بمعنى أن العرب في نظره كانوا أميين"ولم يعوّلوا في تخليد الآثار إلا على الحفظ والأشعار فلما انقرض مستعملوها انقطع ذكرها ولاسبيل إلى معرفة مثل ذلك" (البيروني،الآثار الباقية،ص١٤١) فهذا معناه انه حدد أيضا آفة المعرفة الشفوية.

الشفوية أقلّ خطرا من المعرفة المكتوبة التي قد تتعرض لما قد يطرأ عليها، وحتى يكون أحيانا بنظره الحفظ في الصدور أكثر أهمية من الجمع من الكتب، لقوله:"...والحفظ بكل ما برهن أعلق واليه أسرع وأقرب، لكنه موهبة من الله تعالى غير مكتسبة بل يختص به قوم دون قوم يحرمونه، فلا يكاد يوصلون إلى الممكن فيه منهم إلا بالمواظبة والدؤوب على الممارسة، قال ابو سعد(عبد الرحمن بن محمد بن دوست)[١]:

عليك بالحفظ دون الجمع من كتب فإن للكتب آفات تفرقها

النار تحرقها والماء يغرقها والفأر يخرقها واللص يسرقها[٢]

فهذه الآفات تجعل المعرفة المنقولة في الكتب عرضة للتغيير والتبديل والضياع، وهنا تكمن الخطورة الحقيقية بنظره. الأمر الذي يتعذّر معه التسليم تماما بالمعرفة المكتوبة على أهميتها. ومن هنا فكرة النقد واستخدام الادوات المتعددة في دراسة التاريخ. وقد عبّر البيروني بوضوح عن خطورة المعرفة المكتوبة، بقوله:"فإن الحيطة واجبة على الكتّاب في كلّ ما تسطر أقلامهم لأن القول يمكن العدول عنه وأما المسطور فلا رجعة عنه".[٣] هذه النظرة تؤكد قيمة الكتابة وخصوصيتها على المعرفة الشفوية، باعتبار أن الكتابة المدونة وثيقة معتمدة بصرف النظر عن فحواها، في حين

---

[١] ابو سعد: من اعيان الفضلاء بنيسابور،يجمع الفقه والادب،وشعره كثير الملح والنكت،حسن الديباجة، وانظر هذه الأبيات أيضا عند الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، (شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة)، ط١، ٤مج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.ج٤،ص٤٩٣

[٢]البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)،كتاب الصيدنة، (تحقيق الحكيم محمد سعيد والدكتور رانا احسان الهي)، اشراف مؤسسة همدرد الوطنية، كراتشي،١٩٧٣م،ص٢

[٣] البيروني،المسامرة،ص٧٣٨

أنّ المعرفة الشفوية قد يتنكر لها بسهولة. وهذا يدلّ على أن الفترة التي كتب فيها البيروني شهدت طغيان الكتابة على المرويّات الشفوية على نطاق واسع.

الأدوات العلمية في النظر للتاريخ عند البيروني:

أدوات علمية رئيسية: مستويات مرتبطة بالعقل والتجربة والمقارنة

ينبغي وفقا للبيروني، أن ندرس ما وصل الينا من السّلف، فنخضعه للنّقد والأدوات العلمية المتنوعة، وذلك من أجل تمييز الصواب من الخطأ. فالبيروني يرفض التعاطي مع المعرفة بالتسليم المطلق. لذلك وجد لديه هذا التنوع في استخدام الأدوات. فالبيروني لا يسلّم بما آمن به غيره أو رفضه قبل أن يخضعه للتمحيص والقياس والتحليل والنقد، فيقبل ما وافق مقاييسه ويرفض ما عداه، لا يصدّه عن عظمة القائل أو عدم شهرته، وهي آية موضوعية تجانب التقليد، وتنشد الحق أيا كان.[١] فهو اعتمد أساسا على فهم الجانب العلمي، فجاءت المعلومات مقرونة بالارقام والاحصائيات المبنية على المشاهدة والممارسة.[٢]

وتقتضي الأدوات العلمية انّه لا يمكن أن تكون الأخبار بمنأى عن حكم العقل وقوانين الطبيعة، فالبيروني كان يستبعد كلّ ما يخالف العقل وقوانين الطبيعة، وهذا ليس غريبا على عالم طبيعيات.[٣] وربما افلح في استخدام هذا النهج في كتابه "الآثار" أكثر من كتاب"تحقيق ما للهند"، فقد تبين حرصه على إيراد الثقافة الهندية من منابعها وأصولها بدليل عنوان الكتاب"من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة".

---

[١] الشابي، علي ، الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، دار نشر تونس.١٩٦٥م،ص٣١٤-٣١٥

[٢]أمين، حسين (١٩٧٥)، البيروني عالم ساهم في تقدم العلوم، المؤرخ العربي، (ع١)، ،الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ص١٠

[٣] Sachau,, Alberuni's India,vol,1,p,33

ومنهج البيروني في البحث التاريخي،هو عين المنهج الذي يسير عليه المنهج العلمي في العصر الحديث. أي الاحتكام إلى العقل بعد الاستقصاء والاستيعاب والتحليل والنقد والمقارنة.[١]

رأى البيروني أهمية أن تعرض الأخبار على محكّ العقل، فما يقبله يقبل وما يرفضه يرفض، بدليل ورود مفردات مستقاة من لغة علماء الكلام والفلاسفة "مثل ، "ممكن"،[٢] "جائز"،[٣] "واجب"، "ممتنع".[٤] وقد أشار البيروني الى "الخبر عن الشيء الممكن الوجود"[٥] فقد أشار مثلا، الى مسألة التصديق بوجود بعض الانبياء، مستخدما ألفاظ: "ممكن، جائز"([٦])هذه المفاهيم وإن كانت تحمل مرونة يبقى خلالها الموقف من الخبر بين الأخذ والرفض، إلا أنّها إشارة على حضور معيار العقل في التعاطي مع الروايات والمعلومات.

فما تميّز به البيروني في نقد أخباره ومعلوماته كان العقل. فمعيار قبول بعض الأخبار أو رفضها هو العقل، وذلك في حال غياب مصدر موثوق ومتخصص .

وقريب من هذا السياق،هناك روايات ما كان البيروني يستطيع أن يقطع بصحتها، فتبقى موضع أخذ وردّ، إذ لا تحمل اليقين بإطلاق، وهذه الروايات اقترنت

---

[١] علي، سيد رضوان،(١٩٨٠)، البيروني ومنهجه في البحث التاريخي ، المؤرخ العربي، (ع ١٤)، بغداد، ص (٢٩٦-٣١٥)، ص ٣٠٨.

[٢] البيروني، الاثار الباقية، ص٢٧

[٣] البيروني، تحقيق ما للهند، ص٩٥،والاثار الباقية،ص٣٣٠

[٤]البيروني، الاثار الباقية، ص٢٨٦،٢٨٥، ٢٨٧

[٥] البيروني، تحقيق ما للهند،ص٣

[٦]البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، القانون المسعودي، ط١، ٣مج، وزارة المعارف بالحكومة العالية الهندية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، (الجزء الاول،١٩٥٤)، (الجزء الثاني،١٩٥٥)، (الجزء الثالث،١٩٥٦).ج١، ص١٢٧

بعبارة"والله أعلم".[١]

تميّز البيروني بمعرفته الشاملة ويقظته العقلية وحسه النقدي الدقيق في معالجة كثير من قضايا التاريخ واستكناه عللها والربط بينها،[٢] ولكنّ هذا لايعني أن البيروني تجاهل المنهج التاريخي في النظر للتاريخ على انّه بالمحصلة معرفة نقلية لها أدواتها، والدليل انّه اقرّ المصادر الموثوقة المشهورة والمشهود لها بالصحة،عندما قال:"فالأولى أن لانقبل من قولهم في مثله إلا ما يشهد به كتاب معتمد على صحته، أو خبر مشفوع به بشرائط الثقة في الظنّ الأغلب"،[٣] فالأخبار التاريخية "معرّضة لزيف المخبرين ومختلطة بالتزويرات والأساطير لبعد العهد بيننا وبينها".[٤]

إن منهج البيروني في التعامل مع التاريخ كان بوصفه معرفة نقلية بالأساس، غير أن ذلك لم يمنعه من استخدام أدوات المنهج العلمي، فهو أصرّ على استخدام المقارنة بصورة واسعة في أعماله،[٥] معتبرا إياها الخطوة التالية بعد استيفاء المادة من من المصادر المختلفة لقوله:"...ثم قياس أقاويلهم وآرائهم في إثبات ذلك بعضها

---

[١] البيروني، الاثار الباقية، ص،٤٢، ١٣٦، ١٣٩، ١٦٨، ١٩٨، ٢٠٧، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٤٥.

[٢] سيد رضوان علي،البيروني ومنهجه في البحث التاريخي، المؤرخ العربي،ص٣٠٨-٣٠٩، ايضا، اليوزبكي، توفيق سلطان، (١٩٧٩)، منهج البحث التاريخي عند البيروني، الجامعة،(ع٢)،جامعة الموصل، ص٧٦.

[٣]البيروني،الاثار الباقية،ص١٤

[٤] البيروني،الاثار الباقية،ص١٤

[٥] المصدر نفسه، ص١٢٣،٢٣-١٣٦،١٢٥-١٣٧، ١٣٩-١٤٠ ومن يتفحص كتاب الصيدنة يكاد يجد في كل صفحة المقارنة في الادوية عند الامم، كذلك من يتفحص كتاب الجماهر في معرفة الجواهر يتضح له وجود المقارنة بين الامم

ببعض"،[١] لهذا يبدي البيروني إعجابه بالذين اعتمدوا على المقارنة في دراساتهم، مثل إشارته إلى أبي الفرج ابراهيم بن أحمد بن خلف الزنجاني الذي وضع كتابا في التاريخ اعتمد فيه المقايسة بين الأقاويل المختلفة".[٢]

يعتبر البيروني من أوائل علماء المسلمين الذين اعتمدوا على البحث والتجربة كوسيلة لتحصيل المعارف، وكان يتحاشى الأخذ بآراء علمية دون دراسة وتحقيق. ومن هنا يظهر جليا أن طريقة البيروني في البحث تقوم على المشاهدة والتجربة والاستنباط.[٣]

ورأى البيروني أن هناك تأثيرا للبيئة وقوانين الطبيعة في نظرته للتاريخ، يدعم ذلك قوله:"...ولكن ما كان منها حدّ الإمكان جرى مجرى الخبر الحق إذا لم يشهد ببطلانه شواهد أخر بل قد يشاهد وشوهد من الأحوال الطبيعية ما لو حكي مثلها عن زمان بعيد عهدنا به لثبتنا الحكم على امتناعها".[٤] ويتضح ذلك في أكثر من مثال ،منها،تساؤله عن "بقاء خشبة لمدة زمنية طويلة، وهي معرّضة لتأثيرات نداوة الهواء والأرض ، فهو يفند علميا قصة وجود أصنام هندية لفترة طويلة، آلاف السنين، وبرأيه يفترض الأخذ بتأثير العوامل مثل الماء والهواء على إمكانية بقائها"،[٥] ومنها أيضا، مناقشة "قصة الصليب عند المسيحيين"[٦]على أساس "المقيس والمقيس به والدليل والمدلول عليه..."[٧]،ومنها كذلك، إيمانه بقوانين الطبيعة جعله يرفض "ما حكاه

---

[١] البيروني،الاثار الباقية،ص٤

[٢] المصدر نفسه، ص١١٦

[٣]الدفاع، علي عبد الله، إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت. ١٩٨٥م، ص٣٣٢

[٤] البيروني،الاثار الباقية،ص٥

[٥] البيروني،تحقيق ما للهند،ص٨٩

[٦]البيروني،الاثار الباقية،ص٢٩٧

[٧] المصدر نفسه والصفحة

الجيهاني في كتاب المسالك والممالك أن في شرقي مدينة الطبرية مدينة بلياس ومنها منبع الأردن وعليه ارحية تقف يوم السبت ولا تطحن لنضوب مائها حتى ينقضي يوم السبت، ولا أجد لهذا في الطبيعيات مأخذا...".[١]

– القياس: وتتضح أهمية القياس، بقوله:"وإذا كان الأمر من الاختلاف بحيث وصفناه ولم يكن للقياس مدخل إلى تمييز حق من ذلك من باطله فمن أين يطمع الطالب في الوقوف على حقيقة"،[٢] ويستخدم البيروني أدوات قياس علمي مبنية على حسابات رياضية،فالاصل بالقياس وجود معيار دقيق ثابت علميا تقاس عليه المقولات، على نحو قوله: "فنجعل هذا الذي لا ينكر أصلا محفوظا ومعيارا منصوبا إليه نقيس جميع ما ذكروه فنأخذ أولا ما يجتمع في الجدول الأول في القسم الثاني وهو مائتان وثمانون سنة ونجمعها إلى ما سنبيّنه في الجدول الأول في القسم الثالث لتقاس النظائر من أول ملك أردشير إلى أول ملك يزدجرد وهو في أربعمائة وعشر سنين بالتقريب فيجتمع ستمائة وتسعون سنة وهي تنقص عن المعيار بقريب من مائتي سنة وثلاث وخمسين سنة".[٣] فالبيروني استخدم القياس من خلال بعض الثوابت وطبّقها من خلال عمليّة رياضيّة حسابية لفترات تاريخية، فتميّز بإعطاء خصوصية للقياس كأداة علمية، يستفاد منها في تحديد الزمن لفترات تاريخية.

-التاريخ والحسابات الرياضية المبنية على الفلك:

يتضح ارتباط التحصيل المعرفيّ لدى البيروني بوضوح بالناحية الزمنية، فقد أشار البيروني إلى أن "عمر الإنسان لا يمكنه من الإحاطة بأخبار أمّة واحدة فكيف

---

[١] المصدر نفسه، ص٢٨٤

[٢] المصدر نفسه، ص٢٢

[٣] البيروني،تحقيق ما للهند ،ص١١٧–١١٨

يفي بعلم أخبار الأمم جميعها"،[١] فالتحصيل المعرفي مرتبط بالزمن، أي بعمر الإنسان. بمعنى أن الإحاطة بكلّ التاريخ أمر غير وارد، وهذا ينسجم مع رؤية البيروني في الإفادة من دراسة التاريخ من خلال التركيز على الجوانب الحضارية لاسيما الغنية بالتجارب والحكم.

تنطلق فكرة التاريخ عند البيروني من كيفية تصور كلّ أمة للزمان وموقعها منه، فيكون هذا التصور للزمان، والمختلف حسب كل مجموعة بشرية، مقوما أساسيا من مقومات الاختلاف، لأنه يكيف نظامها الاجتماعي وايقاعه، ويضفي عليه تفرّده.[٢] ومن هنا بدا أن البيروني كان لديه اهتمام بمسألة التحقيب،عندما عبّر بوضوح عن اختيار الامم لحوادث تبدأ تأريخها منها. فقد حدد هذه الحوادث بصورة شمولية على النحو:"والتاريخ هي مدة معلومة تعد من لدن آدم أول سنة ماضية كان فيها مبعث نبي بآيات وبرهان أو قيام ملك مسلّط عظيم الشأن أو هلاك امة بطوفان عام أو زلزلة وخسف مبيد أو وباء مهلك أو قحط مستأصل أو انتقال دولة أو تبدّل ملّة أو حادثة عظيمة من الآيات السماوية والعلامات المشهورة الارضيةالتي لاتحدث الا في دهور متطاولة وأزمنة متراخية تعرف بها الاوقات المحددة".[٣] وقدّم البيروني أمثلة تاريخية للتحقيب عند الامم، ليدعم وجهته، فهو يبرر اختيار المسلمين تاريخ الهجرة لبداية التحقيب دون غيره من الحوادث المهمة كمولد الرسول أو مبعثه أو موته،لأنّ "في المولد والمبعث من الخلاف ما لايجوز أن يجعل معه أصلا لما يجب أن لايقع فيه خلاف، فقال قيل في المولد أنه كان ليلة الاثنين الثاني وقيل الثامن وقيل الثالث عشر

---

[١] البيروني،الآثارالباقية ص٥

[٢] اومليل، علي ، في شرعية الاختلاف، ط١، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط. ١٩٩١م،ص٣٦

[٣] البيروني، الاثار الباقية، ص١٣

ممن ربيع الاول ثم قيل أنه في ستة واربعين من ملك كسرى انوشيروان ولذلك اختلف في مقدار عمره بالموازاة لهذا الاختلاف وأيضا فإن السنين متفاوتة فيما بينها بعضها مكبوسة وبعضها غير مكبوسة... فأما وقت وفاته فإنه وإن كان معلوما فليس يستحسن التاريخ بموت نبي أو هلاك ملك اللهم الا أن يكون كاذبا أو عدوا يستبشر بموته ويستحب أن يكون موته عيدا أو يكون ممن ينقرض عليه الدولة فيعمل أشياعه في ذلك تذكارا لهم فيما بينهم وتأسفا عليه"،[١] وضرب مثالا على التحقيب بوفاة ملك، كما هو الحال بالنسبة لموت الاسكندر ،يقول البيروني:"الغريب مثل الاسكندر البنّاء فإن تاريخه يعدّ من لدن وقت مماته...ومثل يزدجرد ابن شهريار فإن المجوس يورخون بوقت هلاكه لأن الدولة قد انقرضت ببواره فأرخوا بمماته تحزنا عليه وتلهفا لذهاب ملتهم".[٢]

فالبيروني اعتبر بداية التحقيب مؤشرا هاما على مسير التاريخ بالنسبة لأي أمة أو جماعة بشرية. فالتحقيب يمنح خصوصية ثقافية للأمة أو الجماعة البشرية، بدليل أن هذه الحوادث الكبرى مثل الطوفان الذي يعدّ فاصلا كبيرا في الذاكرة التاريخية لأهل الاديان الكتابية الثلاثة، أما خارجها فإن هذا الحدث مجهول، بدليل قول البيروني:"فأما الفرس وعامة المجوس فقد أنكروا الطوفان بكليته... ووافقهم على إنكارهم اياه الهند والصين وأصناف الامم المشرقية"،[٣] ومثال الطوفان بهذا المعنى يبين نسبية بعض الاحداث التحقيبية.[٤]

رأى البيروني أن مصداقية الخبر لها علاقة مباشرة بالقرب الزمني للحدث

---

[١] المصدر نفسه، ص٣٠

[٢] المصدر نفسه، ص٣٠-٣١

[٣] البيروني،تحقيق ما للهند ، ص٢٣-٢٤

[٤] علي اومليل، في شرعية الاختلاف، ص٣٦

التاريخي، وبناء عليه قرر أنه من :"الواجب علينا أن نأخذ الأقرب من ذلك فالأقرب والأشهر فالأشهر، ونحصلها من أربابها ونصلح منها ما يمكن إصلاحه ...".[١] فالبيروني يرى بأن"...الأخبار تنقطع إذا طال عليها الأمد،وخاصة في الأشياء الكائنة جزءا بعد جزء،بحيث لا يفطن لها إلا الخواص".[٢] فالبيروني يملأ الصفحة تلو الصفحة بالحسابات المعقدة والتقاويم والجداول والرسوم البيانية،[٣] إذ يقول: "فإن الناظر في هذا الكتاب لابدّ أن يكون مترفعا عن مرتبة المبتدئين في الحساب".[٤]

وتشعر محاولة حمزة الأصفهاني قبل البيروني أنه كان مهتمّا بالناحية الزمنية المبنيّة على الفلك في الحوادث التاريخية. وتمثّل هذا في الإشارات التي تناثرت في كتابه ارتبطت بمجمل الأخبار التي أوردها.[٥] فهو لم يخصص إلاّ حيّزاً محدوداً لبعض الأحداث الهامة التي شهدتها فترة حكم الملك أو الخليفة، لأن اهتمامه الأساسي كان بحساب فترة حكمه بالسنة والشهر واليوم.

وكانت محاولة البيروني أكثر وضوحا ورسوخا في التركيز على الناحية الزمنية في كتابة التاريخ، ليس فقط بالتركيز على المعرفة الزمنية والتقاويم عند الأمم، بل باستحداث طرق حسابية رياضية لحساب تقاويم الأمم والتقريب بينها باستخدام حساب

---

[١] البيروني، الاثارالباقية، ص٥

[٢] البيروني، تحديد نهايات،ص٤٣.

[٣] الخالدي، فكرة التاريخ عند العرب،ص٢٢٧

[٤]البيروني، الاثار الباقية، ص١٣٥-١٣٦

[٥] الأصفهاني، أبو عبد الله، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠ هـ/٩٧٠م)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ط٣، (تقديم يوسف يعقوب المسكوني)، مكتبة دار الحياة، بيروت، (ب.ت). ص ١١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

الزيجات،[١] وأكثر من ذلك استخدام الزمن في الحكم على صحة الرواية أو ترجيحها أو رفضها واستبعادها،فالزمن وفق محاولة البيروني ليس موثقاً وضابطا للحوادث التاريخية فحسب،[٢] بل أداة منهجية في التعاطي مع هذه المعرفة.

ومن المهم في هذا السياق تقديم أمثلة لتوضيح تأثير الفلك و الحسابات الرياضية في تدقيق الحوادث التاريخية، منها، حسابه الفترات بين الأنبياء في التاريخ القديم بناءّ على حساب الجمّل.[٣] كذلك عرض البيروني تاريخ الهجرة النبوية ورفض بعض الروايات الشائعة بناءً على حسابات زمنية،وظهر ذلك بقوله::" وقد كانت هجرة النبي عليه السلام في النصف الأول من ربيع الأول ، وسئل عن يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه وبعثت فيه وأنزل عليّ فيه وهاجرت فيه ثم اختلف في أي الاثانين كانت الهجرة فزعم بعضهم أنها في اليوم الثاني من ربيع الأول وزعم بعضهم أنها في اليوم الثامن منه وزعم آخرون أنها في اليوم الثاني عشر منه والمتفق عليه أنها في الثامن ولا يجوز أن يكون الثاني ولا الثاني عشر لأنهما ليسا بيوم اثنين من أجل أن أول ربيع الأول في تلك السنة كان يوم الاثنين فيكون على ما ذكرنا قدوم النبي عليه السلام المدينة قبل عاشوراء بيوم واحد وليس يتفق وقوعه في المحرم إلا قبل تلك السنة ببضع سنين أو بعدها بنيف وعشرين سنة فكيف يجوز أن يقال أن النبي عليه السلام صام عاشوراء لاتفاقه مع العاشر في تلك السنة إلا بعد أن ينقل من أول شهور اليهود إلى أول شهور العرب نقلا لاتفاق معه وكذلك في السنة الثانية من الهجرة كان العاشور

---

[١] راجع طريقة استخراج التواريخ بالامثلة في كتابيه، الاثار الباقية،ص١٤٤-٢٠٤، القانون المسعودي،ج١،ص، ١٢٣

[٢] انظر مثلا إيراده لأكثر من حدث مختلف في اليوم الواحد، الآثار الباقية،ص٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥

[٣] البيروني،الاثار الباقية،ص١٨-١٩

يوم السبت من أيلول والتاسع من ربيع الأول! فما ذكروه من اتفاقهما حينئذ محال على كل حال".[١]

لقد ذهب البيروني الى الاستعانة بالفلك في تحديد السنوات ،مثلما فعل عندما حدد اوائل سني الهجرة في ايام الاسبوع واوائل شهور العرب في ايام الاسبوع[٢] ومعرفة اوائل سني يزدجرد في ايام الاسبوع ومعرفة اوائل شهور الفرس،[٣] ومعرفة اوائل سني الاسكندر في ايام الاسبوع،[٤] ومعرفة اوائل شهور السريانية.[٥]

والاهمّ من ذلك، فإن المنهج العلمي المبني على الحسابات، دفعه إلى تحديد تواريخ بعض الحوادث بدقة لم يوردها سواه. فقد استغل في سياق حديثه عن الأيام المهمة عند الأمم إيراد رواية عن موعد بناء بغداد وفق التقويم اليوناني، فقد قال باستعراض الأيام المهمة في شهر تموز عند الأمم محددا اليوم الثالث والعشرين منه:"وفيه ابتدأ أبو جعفر المنصور ببناء مدينة السلام وهي التي تسمى مدينة المنصور في الجانب الغربي من دجلة ببغداد وذلك في سنة ألف وأربع وسبعين للإسكندر...".[٦]

قدّم البيروني التاريخ الإسلامي من خلال الاهتمام بالحسابات الدقيقة للتاريخ- (بمعنى الوحدات الزمنية)- مع استبعاد ذكر السنوات للحوادث التاريخية، ربما لأنّه افترض أن سنوات الحوادث غالبا معروفة، إضافة إلى أنّ الخلافات على الدقة الزمنية

---

[١] المصدر نفسه، ص ٣٣٠

[٢] البيروني، القانون لمسعودي، ج١، ص٩٤-٩٥

[٣] المصدر نفسه والجزء، ص٩٧

[٤] المصدر نفسه والجزء، ص٩٩

[٥] المصدر نفسه والجزء،ص٩٩

[٦] البيروني، القانون المسعودي، ص٢٧٠

على توقيت الحوادث كانت في الأيام والأشهر وليس في السنوات، فالتواريخ بالنسبة للبيروني هي وحدات زمنية،حددها بقوله:"التواريخ أجناس منقسمة الى أنواع هي سنون وأشهر وأيام والايام مشتركة بجميع أجناسها لاتختلف باختلاف السنين والشهور فيها"[١] وقدم البيروني عدة امثلة تدعم رأيه،منها، الخلاف على يوم وقعة بدر بين يومي السابع عشر أو التاسع عشر من شهر رمضان،[٢] أو الخلاف على يوم هجرة الرسول بين الثامن من ربيع الأول أو الثاني أو الثاني عشر من الشهر ذاته.[٣] فالبيروني اعتمد (اليوم) أساساً للبحث،لأنّ اليوم وحدة زمنية ثابتة له مدّة محددة متفق عليها. أما الأشهر والسنون، فيختلف مقدارها باختلاف الأمم التي تعتمدها، لذا ركّز على ذكر الحدث في اليوم والشهر دون ذكر السنة. كما يدلّ اعتماده(اليوم) أساسا للبحث من منطلق تحرّي الدقة في تأريخ الحوادث.

ومن يختار اليوم كوحدة زمنية لرواية أخباره لا نتوقع منه أن يدرج مواقيتاً فيها احتمالات،صحيح أنّ كتب التاريخ حفلت بأكثر من رواية حول التوقيت لكثير من الحوادث، لكن النموذج الذي قدّمه البيروني وفق التوجّه العلمي ،لايسمح بإيراد ألفاظ"قيل" و"يقال"،"وقال آخرون"، بمعنى أن البيروني كان حاسما في التحديد الزمني، فرفض التعدد في حال الروايات التاريخية المتعلقة بالزمن.

فالبيروني اختار الوحدة الزمنية الأكثر تدقيقا مستعينا بالفلك، فهو يريد أن يصل بالتدقيق الزمني إلى منتهاه. الأمر الذي يدل على أهمية الوحدة الزمنية لديه، من خلال ضبط الزمن بدقة، كما يؤشر على أن هاجسه كان إعطاء أهمية للبعد الزمني أكثر من نوع الخبر وطبيعته.

---

[١] المصدر نفسه والجزء، ص١٢٢

[٢] البيروني ، الاثار الباقية، ص٣٣٢

[٣] المصدر نفسه، ص ٣٣٠

ويفترض وفقا للمنهج العلمي الذي تميّز به البيروني استبعاد الأساطير، وذلك ليس لأنّها تبتعد عن الحقائق العلمية والصيرورة المألوفة للحوادث والأفعال البشرية، بل لاعتبارات مرتبطة بعنصر الزمن، إذ يعترف بأنّ "فترة بدء الخليقة وأحوال القرون السالفة مختلطة بتزويرات وأساطير لبعد العهد به وامتداد الزمان بيننا وبينه ...".[١] فالأساطير تنشأ نظرا لبعد الفترة الزمنية، مما يجعلها بعيدة عن الناحية العلمية، وهذا البعد انفرد به البيروني.

قدّم البيروني روايات مختلفة لحدث واحد، ولكنه رجّح رأيه اعتمادا على عملية حسابية دقيقة، وكأنّه طبّق مقولته في أنّه يريد أن يصحح ويعدّل في الروايات التي اعتبرها غير دقيقة، وقد صرّح بذلك في المقدمة عندما قال:"...ونصلح منها ما يمكننا إصلاحه...".[٢] ومن الأمثلة الواضحة، نقاشه لقصة أهل الكهف على أساس الاختلاف الزمني بين روايتين،إذ أنّه حاول أن يقدّم القصة مركّزا على حساب التقاويم بين المسلمين والنصارى، لاسيّما أن قصة أهل الكهف قد وردت فيها محددات زمنية في القرآن، وقد استغلّ البيروني تلك الإشارات وناقشها على طريقته الخاصة.[٣] كذلك لم يوافق على وقوع يوم عاشوراء عند اليهود في العاشر من محرم تبعا لحسابات السنين والشهور وتمايزها بين اليهود والمسلمين.[٤] وقدّم نقداً لروايات تاريخية اعتمادا على الحسابات الرياضية للزمن، لقوله:"وهذه الرواية غير صحيحة لأنّ الامتحان يشهد عليها ...فإذا حسبنا أول سنة اليهود كان في تلك السنة كان يوم الأحد الثاني عشر

---

[١] البيروني،الآثارالباقية،ص١٤

[٢] المصدر نفسه، ص٥

[٣] المصدر نفسه، ص٢٩٠-٢٩١

[٤] وراجع المزيد لديه في المصدر نفسه، ص١٧، ١٨، ٣٣، ٣٧، ٣٩، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٨، ١١٣، ٢٩٧، ٣٠٨، ٣٣٠.

من أيلول ويوافقه اليوم التاسع والعشرون من صفر ويكون صوم عاشوراء يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول".[١]

فاختياره للرّوايات كان باستخدام أدوات علمية صرفة مبنيّة على حسابات رياضية لها علاقة بالزمن، كما أنّ رفضه لروايات أخرى كان لاعتبارات تتصل باستحالة مطابقتها للحسابات الرياضية للزمن، حسب التقاويم المختلفة التي اهتمّ بها.

لم يؤرّخ البيروني للحوادث التاريخية بصورة منظمة ومتكاملة بحيث أنّه لم يقدّم تاريخاً وافياً لأمّة بعينها، لأنّ هاجسه كان التقاويم والحسابات الرياضية للزّمن، وفق اختلاف التقاويم بين الأمم مع الإشارات الفلكية ، فهو اكتفى بسرد الملوك من لدن آدم وذكر أبنائه دون أن يتطرق لتفسير ما جرى في عهودهم ولا حتى أشهر القصص التي رويت عنهم ، فالملاحظ أنّه بذكر تاريخه من لدن آدم أراد أن يقدم تاريخا عالميا على غرار النماذج التاريخية التي سبقته والتي كانت تبدأ مع آدم وبدء الخليقة.[٢]

انفرد البيروني في أسلوب عرض مادة التاريخ الإسلامي مقارنة بمن سبقه، فهو لم يكتب حوادث تاريخه على الحوليات مرتبة متتالية سنة تلو أخرى، كما فعل الطبري في "تاريخه" أو مسكويه في "تجارب الأمم وتعاقب الهمم"،أو وفق سنوات غير متتالية كما فعل حمزة الأصفهاني في كتابه"تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء".كذلك لم يقدم البيروني تاريخه على عهود الخلفاء كما فعل اليعقوبي في "تاريخه" والمسعودي في كتابيه "مروج الذهب"،و"التنبيه"، إذ قدّم البيروني مادة التاريخ الإسلامي بصورة مغايرة متفردة اعتمادا على الأيام المشهورة عندهم.

كما اهتمّ البيروني بتأثير الحسابات على الدولة،كما حدث عندما ساق الروايات

---

[١] البيروني،تحقيق ما للهند، ص٣٣٠

(٢) راجع خطة مادته في كتابه "الاثار الباقية"،ص٤ ومابعدها

المتعلّقة بجباية الخراج زمن المتوكل وتحديدا في سنة ٢٤٣هـ عندما لاحظ المتوكل أن الزرع لم ينضج في موعده فكيف سيجبى خراج الدولة.[١] فبرأيه أن "كبيسة المعتضد حلت مشكلة الخراج والغلات".[٢] فالبيروني أورد هذه الحادثة ليدلل على تأثير الحسابات على مالية الدولة.

كذلك رصد تأثير الزمن على التحولات في البنية الجغرافية الطبيعية"...يذكر بطليموس مصب نهر جيحون ...وبيننا وبين بطليموس قريب من ثمانمائة سنة...وقد كان جيحون حينئذ يخترق هذا الموضع التي هي مفازة الآن".[٣]

أمّا حرصه على ايراد جداول بأسماء ملوك الامم ومددهم،[٤] فقد اعترف بأنه أراد استخراج التواريخ المستعملة في الزيجات والأرصاد.[٥] بمعنى أنه أراد من الجداول عمل حسابات رياضية مبنية على الفلك.

كما انه قدّم طريقة لحساب التواريخ لدى الأمم القديمة باليوم والأسبوع والشهر والسنة.[٦] كما اجتهد في تصحيح بعض المدد التاريخية اعتمادا على حسابات فلكية رياضية لقوله:"واجتهدنا في تصحيح ذلك".[٧]

---

[١] البيروني،الآثار الباقية،ص٣١-٣٣

[٢] البيروني،القانون المسعودي،ج١،ص١٤٢-١٤٣

[٣] البيروني،تحديد نهايات ،ص٤٥

[٤] البيروني،الاثار الباقية،ص ٧٣، ٧٥-٧٦، ٧٧-٧٨، ٨٥-٨٦، ٨٧، ٨٨-٨٩، ٩٠-٩١، ٩٢، ٩٣-٩٤، ٩٥-٩٦، ٩٧-٩٨، ١٠٣-١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠-١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢١-١٢٢، ١٢٣-١٢٤، ١٢٥-١٢٦، ١٢٧-١٢٨، ١٣٠-١٣١.

[٥] المصدر نفسه، ص١٣٥

[٦] المصدر نفسه، ص١٣٠-١٣٢

[٧] المصدر نفسه، ص٢٠٧

فالبيروني اهتمّ بالزمن وضبط جزئياته أكثر من اهتمامه بنوع الخبر، فليس ثمة طابعا واحدا لنوع الأخبار التي قدّمها، إذ تراوحت بين السياسي والاجتماعي والثقافي والديني. المهم تحرّي الدقة في تقديم تأريخ للحدث، وهذا كان على حساب الوحدة الموضوعية والترابط المعرفي، فهو مثلا، يتحدث عن حوادث جرت في شهر رمضان ومنها :" مولد الحسين بن علي،لبس المأمون الخضر، وفاة خديجة، ضرب عبد الرحمن بن ملجم لعليّ بن أبي طالب، وقعة بدر، فتح مكة، حجة الوداع، قبض أمير المؤمنين علي، وفاة الإمام الرضا بن موسى الكاظم، ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، إظهار أبي مسلم الخراساني الدعوة العباسية، خروج البرقعي بالبصرة، ليلة القدر".[١]

ينطلق هذا البعد في الدراسة من التعريف الاساسي للتاريخ بوصفه مرتبطا بالزمن،فقد حدده السخاوي(ت٩٠٢هـ) بأكثر من معنى،الاول:" فالتاريخ في اللغة الإعلام بالوقت،يقال أرّخت الكتاب وورخته أي بيّنت وقت كتابته"،[٢] ويأتي المعنى الثاني "تاريخ كلّ شيء غايته ووقته الذي ينتهي اليه زمنه"،[٣]ويظهر المعنى الثالث في هذا السياق بقول السخاوي:"أن التاريخ فن "يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم".[٤] فالبيروني تمكن من دراسة التاريخ بهذه المعاني التي أوردها السخاوي، فقد نجح البيروني بالتعريف بالزمان وأهميته بالنسبة للمجتمع وبالنسبة لتاريخ الحضارة الانسانية.

---

[١]المصدر نفسه، ص ٣٣١-٣٣٣

[٢] السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، (حققه وعلق عليه بالانجليزية فرانز روزنثال) ، ترجمة التعليقات والمقدمة وأشرف على النص د.صالح أحمد العلي،مطبعة العاني،بغداد،١٩٦٣،ص١٤

[٣] المصدر نفسه ،ص١٦

[٤] المصدر نفسه والصفحات

قدّم البيروني تاريخاً مختصراً، ولم يقدّم صورة واضحة عن الحوادث التاريخية. ولم يقدّم البيروني رواية تاريخية خاصة به، الأمر الذي يحمل على القول، أنّ اهتمامه بالتاريخ متأثر باهتمامه بالفلك والعلوم الرياضية. فقد أفاد التاريخ كونه تعامل بدّقة الفلكي مع المعرفة التاريخية.

يرتبط بموضوع الزمن استخدام الفلك والتنجيم،هذان العلمان المرتبطان لم يتضح التمييز بينهما في العلوم نفسها أو في فهم الناس لها.[١] فهناك تداخل كبير بين علم التنجيم والتاريخ،على الرغم من أنهما يختلفان في ادراكهما للعالم.[٢]ومن الدارسين المتعمقين من مايز بينهما فخلص الى أنّ علم الفلك يبحث عن الأجرام السماوية،أما التنجيم،فهو يبحث في دلالات الكواكب على المستقبل.[٣]

إن الفلك كان ضمن قائمة العلوم الطبيعية التي أخذها العرب عن الإغريق،[٤] وطوروها مستفيدين منها في بعض الحقول المعرفية كالتاريخ والجغرافيا بصورة أساسية.

أفاد اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) من الفلك والتنجيم في تاريخه، فقد امتاز بالدقة واستخدام الفلك لتثبيت توقيت الحوادث،[٥] كما أشار للطوالع عند ولادة الخلفاء

---

[١]الخالدي، فكرة التاريخ عند العرب، ص١٦٢. راجع النقاش حول الفرق والتداخل بين الفلك والتنجيم عند المسلمين، المؤمن ، عبد الأمير ،مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي، ط١، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ١٩٩٧،ص٥٥-٦٦.

[٢]روزنثال، فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين، ط٢، تحقيق صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.١٩٨٣م،ص١٩٥

[٣]نلينو، كارلو – علم الفلك ، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (ب.ت)، ص٢٤ .

[٤] الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ١٣١ .

[٥]الخالدي، فكرة التاريخ عند العرب،ص١٦٢..

وتعيينهم.[١]

وأفاد مؤرخو القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي)، وعلى رأسهم المسعودي (ت ٣٤٦هـ) من المعرفة الفلكية، فالمسعودي عقد فصلاً افتتح به كتاب "التنبيه والإشراف" بعنوان، "ذكر الأفلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها وكيفية أفعالها"، [٢] ذاكراً تأثير الكواكب على السكان واختلاف صورهم وألوانها وأخلاقهم، ووصف الأقاليم السبعة وأطوالها وعروضها وعامرها ومقادير ذلك ومجاري الأفلاك وهيئاتها واختلاف حركاتها وأبعاد الكواكب واتصالها وانفصالها وكيفية مسيرها وتنقلها في أفلاكها ومضاداتها إياها في حركاتها ووجوه تأثيراتها، وهل للفلك علّة طبيعية فاعلة في الأشياء المعلومة".[٣] فهو قبل أن يبدأ بعرض تاريخه قدّم بالتعريف عناصر الفلك والموضوعات التي تخص الفلكيين،لأنه رأى أنّ لذلك تأثيراً على الناس وحياتهم. فالفلك كان مهماً للمؤرخ في نظر المسعودي،[٤] ولذلك ضمّنه كتاباته. صحيح أن المسعودي ومن قبله اليعقوبي أبرزوا تأثير الفلك على الناس وبالتالي دوره في حركة التاريخ. لكن البيروني كان أعمق منهما. فهو لم يكتف بإبراز تأثير الفلك والتنجيم على حركة التاريخ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك في التعامل مع المعرفة التاريخية باستخدام الفلك سواء من خلال النقد،[٥] أو التصحيح والترجيح.[٦]

---

[١] اليعقـــوبي، تـــاريخ، جـــ٢ ص ٧ ، ٢٢ ، ٤١ ، ١٣٩، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢١٦، ٢٦٩ ، ٢٨٣، ٢٩٣، ٣٠١.

[٢] المسعودي ، التنبيه ، ص٦-١٢ .

[٣] المصدر نفسه، ص٢ .

[٤] راجع حول اهتمام المسعودي بالفلك والعلوم الطبيعية:
Khalidi, Islamic historiography.. Masudi, P,30.

[٥] البيروني،الآثارالباقية،ص١٧

[٦] المصدر نفسه، ص١١٨-١١٩.

ومن الجدير بالذكر أن كثيرا من المفكرين العرب لم يؤمن بالتنجيم كطريقة للتنبؤ بالمستقبل والخير والشر نتيجة تأثير النجوم والكواكب على الإنسان، ومن هؤلاء ابن سينا والفارابي وابن حزم،[١] وقد اعتبر الغزالي التنجيم من العلوم المذمومة.[٢]

خصص حمزة الأصفهاني قبل البيروني عنواناً للتنجيم مرتبطاً بالتاريخ الإسلامي،" في ذكر جمل من ادلاء النجوم على استعلاء الإسلام على سائر الأديان والشرائع"،[٣] ومن الأمثلة الدقيقة، إشارته: "أنّ الطالع الدّال على النبوة والملّة والدولة ما هو إلاّ الطّالع السحري في الوجه الأول من الميزان ، كذلك فإن طالع عطارد يدلُّ على شرف النبوة ، كما كان العقرب هو برج القرآن الذي أوجب انتقال الدولة من الفرس إلى العرب".[٤] وذكر أمثلة تدل على التنبؤ بحدوث الكوارث وبعض الحوادث الطبيعية كسقوط مطر غزير وتخريب المحاصيل وما ينتج عنها من كوارث.[٥]

وأورد البيروني عدة أمثلة على التنجيم ربطها بحوادث تاريخية،منها، قوله:"كما أخطأ أبو عبد الله العدي المتعصب للمجوسية جهلا والراجي لخروج القائم دهرا وذلك أنه صنف كتابا في الأدوار والقرانات ذكر فيه أن القران الثامن عشر من مولد محمد

---

[١] راجع بالتفصيل حول مواقفهم من التنجيم، بطرس ،انطوان ،العصور العربية لعلم الفلك ما قبل ومابعد،ط١،الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان،الجيزة،مصر،٢٠٠٣،ص٧٤، ٩٤-١٠٠، حول مواقف الرفض والاستنكار لأهمية التنجيم وتأثيره على الإنسان،راجع أيضا ، المؤمن،مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي،ص٢٩٢-٣٠٣

[٢] الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥ هـ/١١١١م)، إحياء علوم الدين،ط٥،،١م، دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٦،ج١،ص٤١-٤٢.

[٣] حمزة الاصفهاني،تاريخ سني ص ١٢٦-١٢٧

[٤] حمزة الاصفهاني،تاريخ سني، ص١٢٦

[٥] المصدر نفسه ، ص١٤٤-١٥١

عليه السلام يوافق الآلف العاشر وهو للمشتري والقوس فحكم على انه يخرج إنسان يعيد دولة المجوسية ويستولي على الأرض كلها ويزيل ملك العرب وغيره ويجمع الخلق على دين واحد وأمر واحد ويزيل الشر ويملك مدة سبع قرانات ونصف ونص على أنه لا يملك من العرب ملك بعد الذي يجلس في القران السابع عشر...وقد قيل إن دولة الساسانية في القرانات النارية وظهرت دولة الديلم لعلي بن بويه الملقب بعماد الدولة في القرانات النارية ... ولست أدري كيف آثروا دولة الديلم ودلالة انتقال الممر إلى المثلثة النارية أظهر دلالة على بني العباس...[١]

فالاستعانة بالتنجيم للدلالة على بعض الحوادث التاريخية لم يتفرّد بها البيروني، ولكنهّ تميّز بأنّه كان اكثر دقة في معالجة بعض المسائل التاريخية وفقا لأصحاب النّجوم،منها مثلا، تحديد المكان والزمان الدقيقين لخروج الدجال،لقوله:"خروج الدجال المضلّ من ناحية أصفهان وحكم أصحاب النجوم بخروجه من جزيرة رطائل عند تمام أربعمائة وست وستين سنة ليزدجرد بن شهريار."[٢] ويلاحظ أن البيروني استفاد من المنجمين باعتبارهم مصدرا مهما له.[٣]

كما انفرد البيروني بذكر بعض الأخبار التاريخية استعانة بالمنجمين، عندما قدّم توصيفه لحالة الخلفاء العباسيين،عندما قال:"وعند المنجمين أن خلفاء الإسلام وملوك هذه الملة ليس ولا واحد منهم يملك اكثر من أربع وعشرين سنة فأما امتداد أيام المطيع إلى قريب من ثلاثين سنة فذلك لأجل أن عندهم أن الدولة والملك قد انتقل في آخر أيام المتقي وأول أيام المستكفي من آل العباس إلى آل بويه والذي بقي في أيدي العباسية إنما هو أمر ديني اعتقادي لاملكي دنياوي كمثل ما لرأس الجالوت عند

---

[١] البيروني،الآثار الباقية،ص٢١٣

[٢] البيروني،تحقيق ما للهند ،ص٢١٢

[٣] مثال تعظيم الأيام عند الأمم حسب المنجمين ،المصدر نفسه، ص٣٠٨

اليهود من أمر الرئاسة الدينية من غير ملك ولا دولة فالقائم من ولد العباس الآن إنما هو رئيس الإسلام عند أصحاب النجوم لاملك وقديما كانوا ينذرون بذلك كما وجد في كتاب أحمد بن الطيب السرخسي في قران النحسين في برج السرطان ...".[١] والاهم في هذا الإطار،أن التنجيم مهم في ربط الحوادث والدلالة على المستقبل. فالتنجيم بهذا المعنى يحقق الربط بين الماضي والمستقبل، بما يعطي التاريخ سمة الاستمرار.

ويحسب للبيروني أنه شمل التنجيم بكل أقسامه،فقد حدد إخوان الصفا ان علم النجوم ينقسم الى ثلاثة أقسام: قسم منها هو معرفة تركيب الافلاك وكمية الكواكب وأقسام البروج وابعادها وعظمها وحركاتها، ويسمى هذا القسم "علم الهيئة"،[٢] وهذا القسم كان متداولا في الكتابات قبل البيروني، اما القسم الثاني،"فهو معرفة حل الزيجات وعمل التقاويم واستخراج التواريخ"[٣]،وهو القسم الذي انفرد به البيروني تماما، وأفاد به المعرفة التاريخية، اما القسم الثالث فهو"معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج وحركات الكواكب على الكائنات،ويسمى هذا النوع "علم الاحكام".[٤]

يلاحظ أن التاريخ له علاقة و طيدة بالفلك والتنجيم، فالمؤرخ بحاجة الى التنجيم والفلك، كما ظهر في بعض النماذج،عند اليعقوبي والمسعودي، اللذين أوردا تحديدات فلكية للأحداث، لكن الملاحظ ان المنجمين والفلكيين هم أيضا كانوا بحاجة لمعرفة التاريخ.[٥] فقد ابدى المنجمون اهتماما شديدا بأخبار الماضي الثقافية والتاريخية،

---

[١] البيروني، الاثار الباقية، ص١٣٢

[٢]رسائل اخوان الصفا،ج١،ص١١٤

[٣]المصدر نفسه والجزء، والصفحة

[٤]رسائل اخوان الصفا،ج١، ص١١٤.

[٥]المصدر نفسه والجزء، ص١٥٤-١٥٥

فالمعرفة التاريخية بالنسبة لهم تمثل أساسا مقنعا لنبوءاتهم عن المستقبل.[١]

الحياد والموضوعية :

رأى البيروني أن العالم الحقيقي هو الذي يتجنب التعصب لرأي ما ويسعى للحقيقة المطلقة بعيدا عن الأهواء والرغبات، فهو يرجو الحقيقة لأجل الحقيقة، لا للتظاهر والمفاخرة. فالعصبية كما يراها:"تعمي الأعين البواصر وتصمّ الأذان السوامع وتدعو إلى ارتكاب ما لاتسامح باعتقاده العقول".[٢]

نجح البيروني إلى حدّ بعيد في التزام الحياد في التعاطي مع المعرفة،[٣] وقد اتضح ذلك في كتاب تحقيق ما للهند فهو اعترف بقيمة الشخصية الهندية وقدرتها العلمية. بالمقابل انتقد البيروني الهندوس وادعاءهم بالتفوق واحتكارهم المعرفة.[٤] وقدّم البيروني ثقافة الهند برؤية علمية اعتمدت نهجا موضوعيا أقرب إلى المؤرخ الذي نأى بنفسه عن التحيز.[٥]

وقد اتضح ذلك من خلال مناداته بنبذ التعصب وتجنب الميل لحساب فريق دون آخر.لقوله:"ولكن من راعى ما شرطته في أول هذا الكتاب من الوقوف على وسط طرفي التفريط والإفراط ولزوم الاعتدال للاحتياط".[٦] وقد ساق أمثلة توضح ذلك منها، منها، ما يتعلق بمناقشة الأنساب وصحتها، يقول في ذات السياق: "وإنما ذكرت هذا

---

[١] روزنثال،علم التاريخ، ص١٥٦-١٥٧

[٢] البيروني، الاثار الباقية، ص٦٦

[٣] أمين، حسين،(١٩٨٠)، البيروني ومنهجه في البحث التاريخي، المؤرخ العربي، (ع١٤)، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ص٣٠٢- ٣٠٥

[٤] Mohammed Usman, AL-Biruni and the Hindu Mind, (in AL-BIRUNI Commemorative Volume, p.299)

[٥] Naser Ahmed Naser,Al-Biruni as ahistorian of culture in AL-BIRUNI Commemorative Volume, p.232

[٦] البيروني، الآثار الباقية، ص٣٨

لما عليه الناس من التعصب لمن أحبوه والطّعن على من أبغضوه حتى ربما يكون إفراطهم في كلا المعتقدين سببا لافتضاح دعاويهم،[١] وهنا إشارة مهمة إلى أنه فسّر قضية التعصب استنادا لناحية نفسية اجتماعية لها علاقة بالطبيعة الإنسانية.

ويتابع البيروني التأكيد على أهمية أن يكون المؤرخ محايدا بعيدا عن التعصب لقوله:"... بعد تنزيه النفس عن العوارض المردئة لأكثر الخلق والأسباب المعمية لصاحبها عن الحق وهي كالعادة المألوفة والتعصب والتظافر واتباع الهوى والتغالب بالرئاسة وأشباه ذلك"،[٢] فالعصبية للرأي تدفع بنظره"الأعادي إلى الطعن في الأنساب والثلب في الأعراض،والأصدقاء والمتشيعين إلى تحسين القبيح وسدّ الخلل وإظهار الجميل والنسبة إلى المحاسن، فينصرفون إلى تخرّص الأحاديث الكاسبة للحمد، وتزييف النسبة إلى الأصول الشريفة كما فعل لابن عبد الرزاق الطوسي من افتعال نسب له ففي الشاهنامة ينتمي به الى منوشجهر وكما فعل لآل بويه فقد ذكر ابو اسحاق إبراهيم بن هلال الصابي في كتابه الذي سماه التاجي أن بويه هو ابن فناخسرو".[٣]

بمعنى أنه تحدث عن أهمية الحياد والموضوعية أساسا للمعرفة التاريخية بعيدا عن التعصب والميول والتشيع لرأي دون الآخر لاعتبارات مذهبية، أو قبلية، أو ميل لرأي بحكم الطبيعة البشرية، أو تقديم رأي على آخر انطلاقا من وجود قوة سياسية .

وجاء التطبيق العملي للبيروني في رفض التعصب واضحا ، فوجه انتقاده لبعض المؤلفين الذين ظهر لديهم نزعة قومية،فقد انتقد ابن قتيبة لميله الشديد للعرب،[٤]

---

[١] المصدر نفسه، ص٤٠

[٢] المصدر نفسه ص٤

[٣] المصدر نفسه ،ص٣٧-٣٨

[٤] المصدر نفسه، ص٢٣٩

وانتقد حمزة الأصفهاني لميله للفرس.[١]

ومن الأمثلة التي يستدل منها على الحيادية والموضوعية:قوله: "ولست أفرد الهند بالتوبيخ على الجاهلية، فقد كان العرب في مثلها يرتكبون العظائم..."[٢]

وربما قدّم البيروني رؤيته معتبرا أن مهاجمة حركات ما قد تهدد المجتمع واستقراره لايعتبر تحيّزا، فهو بذلك يخدم الإسلام ورسالته، وكأنّه كان أقرب إلى المتكلمين في التصدّي للبدع، باعتباره مسلما غيورا.[٣]

لكنّ البيروني لم يستطع أن ينأى بنفسه تماما عن فكرة الميل المذهبي، عندما كان أكثر قربا من التيار الشيعي وتحديدا الإمامي والزيدي. خاصة في شبابه،[٤] ولكنّه لم يكن مغاليا ومتعصبا في ذلك، بل أحيانا وجّه لهم عتابا صريحا،عندما قال:" وهذه الأخبار كلها في كتاب الشيعة مقصور على الصوم، والعجب من ساداتنا عترة الرسول عليه وعليهم السلام أنهم صاروا يصغون إلى ذلك، ويقبلونه تأليفا لقلوب جمهور المتوسمين بتشيعهم، ولا يقتفون أثر جدّهم أمير المؤمنين في إعراضه عن استمالة الضالين المعاندين،بقوله:" ما كنت متخذا المضلين عضدا".[٥]

---

[١] المصدر نفسه، ص٥٢

[٢] البيروني، تحقيق ما للهند،ص،١٤٨

[٣]راجع تعريف علم الكلام ومهمته، الفارابي، أبو نصر، محمد بن محمد طرخان (ت ٣٣٩ هـ/٩٥٠م) – إحصاء العلوم، (حققه وقدم له وعلق عليه عثمان أمين)، دار الفكر العربي، القاهرة، (ب.ت)، ص١٠٧–١٠٨. الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥ هـ/١١١١م)، المنقذ من الضلال، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٣٢، ابن خلدون، المقدمة، جـ٣ ص١٠٦٩.

[٤]ميلي، الدو(١٩٦٢)، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ط١، ترجمة د.عبد الحليم النجار ود.محمد يوسف موسى، راجعه د.حسن فوزي، دار القلم، القاهرة. ١٩٦٢م،ص١٨٨

[٥]البيروني، الآثار الباقية ص٦٧.

كذلك فإن عواطف البيروني نحو الشيعة والتي انعكست في أكثر من موضع من كتاب الآثار الباقية، قد اختفت بمرور الزمان،ومن المحتمل أن يكون قد اضطر الى خنق هذه العواطف فيما بعد أثناء إقامته في الوسط السني في الدولة الغزنوية. غير ان منهجه في التفكير بمثل هذه المسائل لم تمسه كثيرا، وان بعض الميول التي عرفها ايام شبابه قد حلّ محلها عدم الاكتراث بها. وهذا منتظر من عالم صاحب أفق واسع وعقلية علمية منفتحة.

النقد التاريخي :

١-الأسس والمنطلقات

تنوعت أساليب النقد لدى البيروني، منها تلك المبنية على أسس علمية، مثل النقد باستخدام الحسابات الرياضية للزمن المبنية على الفلك، بقوله: "وكل ما ذكرنا ليس كل واحد من الفريقين الا مدعيا في هذا المعنى دعاوى لايستشهد على صحتها الا بتأويلات مستنبطة من حساب الجمّل وتمويهات ركيكة لو قصد المتأمل إثبات غيرها بها ...لم يصعب عليه مرامها"، ويسوق أمثلته مشفوعة بحسابات رياضية مبنية على الفلك ليعزز انتفاده ووجهته.[١]

فالبيروني بالتفاته للبعد الزمني لم يستعمل الزمن فقط كونه ناظما لحوادثه التاريخية كما فعل من كتب التاريخ على الحوليات مثل الطبري ومسكويه،[٢] بل كان مفهومه للزمن أعمق بكثير. إذ أن الزمن من وجهة نظره ليس فقط ناظما وموثقا للحدث التاريخي فحسب، بل أداة نقد وتصحيح للحوادث التاريخية.[٣]

---

[١] المصدر نفسه، ص١٧

[٢] راجع الكتابة على الحوليات ، روزنثال،علم التاريخ،ص١٠١-١٢٤

[٣] انظر مثلا رأيه في كون أصحاب النجوم لديهم المعرفة الصحيحة فيما يخص بعض الفترات الزمنية مثال تحديد فترة الطوفان، الاثار الباقية، ص٢٤

وقد يستخدم البيروني أدوات تدل على النقد والتشكيك باستخدام ألفاظ مثل:"زعموا"،"زعمت"، [١]"تزعم"، "يزعمون"، "يدّعون"،[٢] "وزعم بعضهم"،[٣] وألفاظاً قريبة منها تحمل دلالة التشكيك.[٤]

ومن أشكال النقد، الاعتماد على أساس استخدام المعرفة اليقينية المسبقة لديه والتي تخالف ما عليه الواقع، يظهر ذلك في إحدى الروايات عندما قال:"...وفي هذه القصة خاصة ما يزيل الثقة به عنها من صفة أهل تلك البلاد من التديّن بالإسلام والتكلّم بالعربية مع انقطاعهم عن العمران...".[٥]

ويعتذر البيروني عن إيراد بعض الأخبار والمعلومات حرصا منه على ايراد المعرفة اليقينية الموثوقة، لقوله:"وأما شهور سائر الأمم من الهند والصين والتبت والترك والخزر والحبشة والزنج فإنه وإن تقرر عندنا أسماء بعضها فإنّا قد أعرضنا عن ذكرها إلى وقت يتفق لنا الإحاطة فيه بها إذ لا يليق بطريقتنا التي سلكناها أن نضيف الشك إلى اليقين والمجهول إلى المعلوم..."[٦] ويتصل بهذا قوله أيضاً، :"...فلا علم لنا بشيء منه ولا يجوز أن نقضي على ما لاعلم لنا به".[٧]

ويفهم من رؤية البيروني التأكيد على أن يبقى هناك هامش للأخذ و الرّد والاجتهاد، فلا حدود للمعرفة، وهذا معناه أن البيروني رفض فكرة احتكار المعرفة وأصرّ على مواصلة البحث، وقد عبّر عن ذلك عندما قال: "والناظر فيه –يعني كتاب

---

[١] البيروني،الاثار الباقية،ص١٤

[٢] المصدر نفسه، ص١٥

[٣] المصدر نفسه، ص١٦

[٤] المصدر نفسه، ص٥١، ٢٠٧،١١٣

[٥] المصدر نفسه، ص٤١

[٦] المصدر نفسه ،ص٦٨

[٧] البيروني،تحقيق ما للهند،ص٩٥

الآثار الباقية– لا يخلو من أن يكون مثلي فيحمدني ويشكر فعلي، فيما سعيت فيه، أو يكون لمرتبته مزيّة على مرتبتي، فيتفضلّ بإصلاح الخلل، ويعذر فيما عساه وقع في الزلل".[١]

٢–الترجيح والاجتهاد:

حرص البيروني على المحافظة على النهج التاريخي بإيراد روايات وأقاويل متعددة للحدث الواحد،[٢] واتضح ذلك حتى من بعض العناوين لديه،مثل "القول في اختلاف الامم في مائية الملك الملقب بذي القرنين".[٣]

وفي عدة مواضع تظهر لفظة "وقيل"،[٤] وقد اعترف البيروني بأنه اجتهد في العديد من المواضع، ظهر ذلك صراحة بقوله: "وأنا حاك من أقاويلهم ما بلغني ومجتهد على قدر الطاقة في إصلاح الفاسد وإبطال الباطل وتحقيق الحق"،[٥] "...فإن ذلك متعلق بالنقل وقد وقع فلا أقل من أن نجتهد في تصحيح مدة القسم الثاني ما أمكن.[٦]

لكنه تميّز باجتهاده على أسس واعتبارات متنوعة وفق الامثلة التالية:

– الترجيح للتطابق مع الحسابات الرياضية الفلكية، بدليل قوله في أحد المواضع: "وهذا هو الصحيح".[٧]

---

[١] المصدر نفسه ،ص٣٦٢

[٢] المصدر نفسه ،ص٤١، ١٠١

[٣] المصدر نفسه، ص٣٦

[٤] المصدر نفسه، ص٣٥ ،٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤

[٥] البيروني، تحقيق ما للهند ،ص١١٣

[٦] المصدر نفسه، ص١١٧

[٧] البيروني، الاثار الباقية، ص١١٨–١١٩

– الترجيح على أساس عقلي، لقوله:"ويشبه أن يكون الحق من بين هذه الأقاويل هو هذا الأخير.[١]

– وجود أخبار صحيحة وموثوقة، لقوله: "وذلك غير صحيح لأن الاخبار قد تواترت...".[٢]

– على أساس لغوي، فقد عرض الروايات المختلفة عن ذي القرنين عند الامم،[٣] وقد وقد مال الى القول بأنه أبو كرب شمر يرعش باعتبار أن الاذواء كانوا من اليمن دون غيره من البقاع وهم الذين لا تخلو أساميهم من ذي كذى المنار وذي الأذعار وذي الشناتر وذي نواس.[٤] فالأداة التي حكم من خلالها على ترجيح الرواية لها علاقة باجتهاده في مجال اللغة والاطلاع الثقافي. وهذا مما يضاف للأدوات المهمة التي يحسب للبيروني استخدامها في التعاطي مع المنهج التاريخي.

– ربط النتيجة بالسبب، مثلا:"وبنو العباس لما لقبوا أعوانهم بالألقاب الكاذبة وسوّوا فيها بين الموالي والمعادي ونسبوهم الى الدولة بأسرهم ضاعت دولتهم...".[٥]

خاتمة:

للبيروني نظرته النقدية في التاريخ ، فهو ينشد الحقيقة ويرفض ما يخالف المنطق ويتعارض مع قوانين العلم الطبيعي. وبنظره أن البحث التاريخي يتطلب

---

[١] المصدر نفسه، ص٤١

[٢] المصدر نفسه، ص٣٣٢

[٣] المصدر نفسه ص٣٦-٤٢

[٤] المصدر نفسه، ص ٤١

[٥] المصدر نفسه ص١٣٢

الحياد والابتعاد عن الأغراض والانحياز. ومن هنا رفض التعصب لمذهب أو لغة أو قومية.

حرص البيروني على أن يكون سبيل تحصيل المعارف التاريخية بكل الطرق والتمحيص والاختبار،لذلك فضّل أن يتحقق من الأخبار بدليل مقولته:"ليس الخبر كالعيان".

أكد البيروني اهمية ان يتم دراسة التاريخ باستخدام المنهج العلمي. وقد اتضح انه استخدم أدوات علمية ذات صلة بالحسابات الرياضية الفلكية. فهو استخدم الحسابات الرياضية كمنهج، فظهر ذلك في المادة، وفي تصحيح المعلومة التاريخية، وفي ضبط الزمن، وفي النقد، وأحيانا، رفض بعض الأخبار.

المراجع والمصادر:

المصادر:

القرآن الكريم

- ابن ابي أصيبعة، موفق الدين ابي العباس أحمد بن القاسم(ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) **عيون الانباء في طبقات الاطباء**، ط١،(ضبطه وصححه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود)، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية ،بيروت،١٩٩٨.

– الأصفهاني، أبو عبد الله، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠ هـ/٩٧٠م)، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، ط٣، (تقديم يوسف يعقوب المسكوني)، مكتبة دار الحياة، بيروت، (ب.ت).

– البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، دار صادر، بيروت، (د.ت)، نسخة مصورة عن طبعة DR.EDWARD C.SACHAU في ليبزج ١٩٢٣.

– ـــــ **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند ،١٩٥٨م.

– ـــــ **كتاب الصيدنة**،)تحقيق الحكيم محمد سعيد والدكتور رانا احسان الهي(، اشراف مؤسسة همدرد الوطنية، كراتشي،١٩٧٣م

– ـــ **تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن**،)تحقيق د.بولجاكوف، مراجعة د.إمام إبراهيم أحمد(، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.

– ـــ **الجماهر في معرفة الجواهر وانواعها**، ط١،نشرته مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية،حيدر أباد،الهند،١٩٣٦م.

– ـــ **القانون المسعودي**، ط١، ٣مج، وزارة المعارف بالحكومة العالية الهندية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند، (الجزء الاول، ١٩٥٤)، (الجزء الثاني، ١٩٥٥)، (الجزء الثالث، ١٩٥٦).

– البيهقي، ابو الفضل محمد بن حسين (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، **تاريخ البيهقي وفيه المسامرة في أخبار خوارزم للبيروني**، ترجمه الى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،١٩٨٢م.

– الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**،(شرح وتحقيق د.مفيد محمد قميحة)، ط١، ٤مج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

– ابن خلدون، أبو زيد، عن الرحمن بن ولي الدين (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٦م) المقدمة، ط٣، ٣مج، (مهد لها وحققها علي عبد الواحد وافي)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة – القاهرة، (د.ت)،

– الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ/٩٩٧م)، **مفاتيح العلوم**، (حققه ووضع فهارسه فان فلوتن)، برل، ليدن، ١٩٦٨م.

– **رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا**،ط١،أربعة مج،الدار الاسلامية،بيروت،١٩٩٢،

– السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ،(حققه وعلق عليه بالانجليزية فرانز روزنثال) ،ترجمة التعليقات والمقدمة وأشرف على النص د.صالح أحمد العلي،مطبعة العاني،بغداد،١٩٦٣

–الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك**، ط٦، ١٠ م، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة (د.ت).

–الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥ هـ/١١١١م)، **المنقذ من الضلال**، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.

– _____ **إحياء علوم الدين**،ط٥،،١م، دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٦

– الفارابي، أبو نصر، محمد بن محمد طرخان (ت ٣٣٩ هـ/٩٥٠م) – **إحصاء العلوم**،(حققه وقدم له وعلق عليه عثمان أمين)، دار الفكر العربي، القاهرة، (ب.ت)

–القفطي، جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف(ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ط١، مطبعة السعادة، مصر،١٩٠٥م.

–المسعودي ، أبو الحسن، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

–ـ **التنبيه والإشراف**، (عنى بتصحيحه ومراجعته عبد الله اسماعيل الصاوي)، المكتبة التاريخيه، القاهرة، ١٩٣٨م .

–ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، (شرحه عبد الامير مهنا)،٤مج، منشورات مؤسسة الاعلى للمطبوعات، بيروت، (د.ت)

– مسكويه، أبو علي، أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ/١٠٣٠م)، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، ٣ مج، (كتب مقدمته ووضع فهارسه ليون كايتاني)، برل، ليدن، ١٩٠٩ – ١٩١٧م،

– _____**تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق**، تحقيق قسطنطين زريق، نشرته الجامعة الاميركية، بيروت،١٩٦٦، ص٢٩، (وسيشار له، مسكويه، تهذيب الاخلاق).

– ابن النديم، الفهرست، –ابن النديم ، أبو الفرج ، محمد بن أبي يعقوب (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، **الفهرست**، (تحقيق رضا تجدد) ، طهران ، (د.ت).

–اليعقوبي، اسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، **تاريخ اليعقوبي**، ط١، مجلدان، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م.

المراجع الحديثة

–اركون، محمد (١٩٩٧)، **نزعة الأنسنه في الفكر العربي**، جيل مسكويه والتوحيدي، ط١، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت ولندن.

– اوماليل، علي (١٩٩١)، **في شرعية الاختلاف**، ط١، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط.

– ايمار، أندريه و اوبوايه ،جانين ،**تاريخ الحضارات العام**،ط٣، ٧مجلدات،إشرا ف موريس كروزويه، ترجمة فريد م. داغر وأحمد عويدات وفؤاد ج.ابو ريحان، منشورات عويدات، بيروت– باريس.

– بطرس، انطوان ،**العصور العربية لعلم الفلك ما قبل وما بعد**، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة،مصر،٢٠٠٣،

– حاج ياسين، رياض حمودة،(١٩٩٨)، **كتاب "البدء والتاريخ" للمطهر المقدسي، دراسة تاريخية تحليلية**، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، عمان، الاردن

– الخالدي،طريف (١٩٩٧)، **فكرة التاريخ عند العرب من الكتاب إلى المقدمة**،ط١، ترجمة حسني زينة،دار النهار للنشر، بيروت.

– الدفاع، علي عبد الله (١٩٨٥)، **إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ديورانت، ول وايرل، **قصة الحضارة**، ٤٢ جزءاً، دار الجيل بالتعاون مع المنظمة العربية والثقافة والعلوم، بيروت، ١٩٨٨م.

– الدوري، عبد العزيز (١٩٩٣) **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب** ، ط٢، دار المشرق ، بيروت .

–روزنثال، فرانز (١٩٨٣)، **علم التاريخ عند المسلمين**، ط٢، تحقيق صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

– الشابي، علي (١٩٦٥)، **الأدب الفارسي في العصر الغزنوي**، دار نشر تونس.

– العروي،عبد الله،، **مفهوم التاريخ**، ط١، جزءان، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م

– كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفيش (١٩٥٧)، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، جزءان، (ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، راجعه ايغور بليانف)، موسكو، لييننغراد.

– مرغوليوث، د.س. **دراسات عن المؤرخين العرب**،ترجمة الدكتور حسين نصار،دار الثقافة،القاهرة،١٩٢٩م،

– المؤمن، عبد الأمير، **مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي**، ط١، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ١٩٩٧.

مؤنس، حسين، **الحضارة**، المجلس الوطني للثقافة والآداب ،الكويت، ١٩٧٨،

– ميلي، الدو(١٩٦٢)، **العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي**، ط١، ترجمة د.عبد الحليم النجار ود.محمد يوسف موسى، راجعه د.حسن فوزي، دار القلم، القاهرة.

– نلينو، كارلو – **علم الفلك ، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (ب.ت)،

المراجع الانجليزية:

-Khalidi, Tarif (1975) **Islamic Historiography, The Histories of Ma'sudi,** State University of New York Press, Albany.

-Sachau, Edward C (1962), **Alberuni's India**, 2 volumes, Printed under the Authority of The Government of West Pakistan,Lahore,

-Siddiqi, Akhthar Husain- **AL-Mas'ude's Geographic Concepts**, International Journal of Islamic and Arabic Studies, vol,7, Published by The International Institute for Islamic and Arabic Studies, Indiana, 1990 ,

المجلات وأبحاث ضمن كتب:

– أمين ،حسين،(١٩٨٠)،**البيروني ومنهجه في البحث التاريخي**،**المؤرخ العربي**،(ع١٤)،**الامانة**

العامة لاتحاد المؤرخين العرب.

-أمين، حسين (١٩٧٥)، **البيروني عالم ساهم في تقدم العلوم، المؤرخ العربي**، (ع١)، ،الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ص٩-١٧.

-التريكي،فتحي، **مقال عن البيروني، منشور ضمن تاريخ العلوم عند العرب**، مجموعة مقالات كتبها اساتذة جامعيون، إشراف عز الدين باش شاوش، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس، ١٩٨٩،

-جب، هاملتون ، (د.ت)،مادة **تاريخ**، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد٤، ص ٤٦٩-٤٧٣، انتشارات جيهان، تهران، ايران.

-الربايعة، أحمد (١٩٨٩م)، **البيروني وأسس الانثروبولوجيا الثقافية"، دراسات تاريخية**، (ع٣١-٣٢)، جامعة دمشق، ، ص١٠٩-١١٤.

- شوقي،جلال ،**دراسات البيروني في الطبيعيات،أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عندالعرب**،جامعة حلب،٥-١٢-١٩٧٦،

-علي، سيد رضوان،(١٩٨٠)، **البيروني ومنهجه في البحث التاريخي** ، المؤرخ العربي، (ع ١٤)، بغداد ،

- كاور، جونيندار (١٩٨٧)، **البيروني:رائد من رواد الدراسة المقارنة للأديان**، ترجمة د.محمد اكرم سعد الدين، **الثقافة العالمية**،المجلد السادس، (ع٣٢)، ص٤٠-٥٥

-مأمونوف، ابراهيم (١٩٧٧)، **البيروني أعظم عالم موسوعي**، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، المورد، المجلد السادس، (ع٤)، عدد خاص (العلوم عند العرب)، بغداد، ص١٥٨-١٧٣

- اليوزبكي، توفيق سلطان، (١٩٧٩)، **منهج البحث التاريخي عند البيروني**، الجامعة،(ع٢)،جامعة الموصل،

مجموعة ابحاث منشورة في:

-**AL-Biruni Commemorative Volume** (1979) proceeding of the International Congress held in Pakistan on the occasion of Millenary of Abu Raihan Muhammed ibn Ahmed al-Biruni(973-Ca 1051 A.D), November 26, 1973 thru December 12, 1973, Editer: Hakim Mohammed Said, Hamdard National Foundation, Karachi , Pakistan.